التعمير بإفريقية والمغرب في الفترة الوسيطة

أعمال يوم دراسي - 25 أكتوبر 2024

جمع النّصوص وقدّم لها

بثينة بن حسين

2026

EDITION ARAAM

بثينة بن حسين

التعمير بإفريقية والمغرب في الفترة الوسيطة

مثّل التّعمير في الفترة الوسيطة محورا مهمّا في دراسة تاريخ المغرب أي إفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى حيث صدرت دراسات عديدة من بينها دراسات محمد حسن وفوزي محفوظ وغيرهم من الباحثين. وارتأيت من خلال اليوم الدّراسي تركيز الأضواء على عدّة عناصر من التّعمير والتّوطين لا زالت تستوجب البحث. وبيّن هذا الكتاب تنوّع التّعمير في الفترة الوسيطة وتعدّد المقاربات في دراسته كالدّراسة الطّوبونيميّة ودراسة المخطوطات والأرشيف والبحث الأثري. وأرجو أن يكون هذا اليوم الدّراسي بداية لسلسلة من الدّراسات حول التّعمير في الفضاء المغربي في الفترة الوسيطة سواءا كان تعميرا قبليّا (تنقّلات وهجرة القبائل البربريّة والهجرة الهلاليّة) أو مذهبيّا (كتنقّل الإباضيّة).

بثينة بن حسين (بتصرّف)

ISBN 978-9909-9861-6-5

الثمن : 25 دت

EDITION ARAAM

التعمير بإفريقية والمغرب
في الفترة الوسيطة

الكتاب

التعمير بإفريقية والمغرب في الفترة الوسيطة

جمع النّصوص وقدّم لها

بثينة بن حسين

تنسيق النشر

طارق ماني

صورة الغلاف

قرية قرماسة الأمازيغيّة من معتمدية غمراسن. وينتصب المسجد بمنارته البيضاء وسط البناءات المنقورة في الصّخر

(الصّورة من إنجاز: CNR-Milan, Barbara Aldighieri)

أعمال محكمة لمخبر البحث LR13ES11 «اشتغال الأرض والتعمير وأنماط العيش ببلاد المغرب في العصور القديمة والوسيطة»

إنجاز:

EDITION ARAAM

1، شارع الحبيب بورقيبة – 5180 قصور الساف – تونس

الهاتف: 817 317 29 216+

البريد الإلكتروني: araam.edition@gmail.com

الترقيم الدولي للكتاب

978 - 9909 - 9861 - 6 - 5

الطبعة الأولى - سوسة 2026

جميع حقوق الطبع والترجمة والتعديل محفوظة
لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة. ©

جامعة سوسة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مخبر البحث *LR13ES11*
«اشتغال الأرض والتعمير وأنماط العيش ببلاد المغرب في العصور القديمة والوسيطة»

التعمير بإفريقية والمغرب في الفترة الوسيطة

أعمال يوم دراسي

(25 أكتوبر 2024)

جمع النّصوص وقدّم لها

بثينة بن حسين

EDITION ARAAM

اللّجنة العلميّة:

الأساتذة:

بثينة بن حسين

فوزي محفوظ

محمّد الجوّادي

حومة العجامة بين التّاريخ والذّاكرة: دراسة مسار توطّن أقليّة سوداء بجزيرة جربة

المنصف بربو[1]

الملخّص

يرمي هذا البحث، الّذي راوحنا فيه بين الوثيقة المكتوبة والتّقصّي الشّفويّ، إلى تتبّع المسار الّذي أفضى إلى استقرار مجموعة سوداء بجزيرة جربة وتوطّنها بحومة حملت اسمها (حومة العجامة)، وهو ما يضعنا أمام شكل فريد من أشكال توطّن السّكّان بجزيرة جربة قائم على المعطى الإثنيّ.

رصدنا، ضمن هذا العمل، حركيّة مجموعة «العجامة» صحبة أسيادها «أولاد شبل»، من العرب المحاميد السّلميّين، عبر الزّمان وفي المكان، أي طيلة قرون عديدة (من القرن الخامس للهجرة / 11م إلى القرن الثّالث عشر هجريّا / 19م) وعلى مجال شاسع امتدّ على مدى مئات الكيلومترات (من ساحل طرابلس إلى جزيرة جربة).

كما وقفنا على أنّ استقرار «العجامة»، بجزيرة جربة، في مجالهم المنفصل (في حومة العجامة) عن مجال أسيادهم من عائلات الفورتي / الشّبلي (في حومة بحباح / المحبوبين) كان مؤشّرا على فكّ الارتباط والانفصال، مجاليّا وعلائقيّا، بين عبيد الأمس وأسيادهم القدامى، نقلهم من حماية القبيلة إلى حماية الحومة،

1 المعهد العاليّ للعلوم الإنسانيّة بمدنين، جامعة قابس
moncefbarbou@gmail.com

كما كان تعبيرا عن التقائهم في وضع جديد، تشابهوا فيه في المنزلة والانتماء إلى أسفل درجات السُّلّم الاجتماعيّ.

الكلمات المفاتيح: جزيرة جربة– مجموعة العجامة– العبيد– أولاد شـبل– الأسـياد– التّرحال– التّوطّـن – حومة العجامة– حومـة بحباح / المحبوبين– الإنفصال المجاليّ / العلائقيّ.

Résumé

Cette recherche, qui alterne entre l'analyse de documents écrits et l'enquête orale, vise à retracer le parcours ayant conduit à l'établissement et à la sédentarisation d'un groupe noir sur l'île de Djerba, dans un quartier ayant pris son nom – **Hawmat al-ʿAjāma** (quartier des ʿAjāma). Cette étude met en lumière une forme singulière de peuplement sur l'île de Djerba, fondée sur un critère ethnique.

Dans ce travail, nous avons suivi la dynamique du groupe des ʿ**Ajāma**, accompagnés de leurs maîtres, les **Ouled Chebel**, une branche des Arabes **Mhamid Sulaymit**, à travers le temps et l'espace, c'est-à-dire sur plusieurs siècles (du Ve siècle de l'hégire / XIe siècle de notre ère jusqu'au XIIIe siècle hégirien / XIXe siècle), sur un vaste territoire s'étendant sur plusieurs centaines de kilomètres (du littoral tripolitain à l'île de Djerba).

Nous avons également constaté que l'installation des ʿ**Ajāma** sur l'île de Djerba dans un espace distinct – **Hawmat al-ʿAjāma** – séparé de celui de leurs anciens maîtres, les familles **Fourti / Chebeli**, établies dans **Hawmat Baḥbāḥ / al-Maḥbūbīn**, constitue un indicateur de **dissociation** et de **rupture**, à la fois spatiale et relationnelle, entre les anciens esclaves et leurs maîtres. Ce passage marque un déplacement de la protection tribale vers une protection locale – celle du **Hawma** –, et traduit l'entrée des deux groupes dans une nouvelle condition sociale les réunissant au sein d'un même statut, celui des couches les plus basses de la hiérarchie sociale.

Mots-clés : Île de Djerba – Groupe des ʿAjāma – Esclaves – Ouled Chebel – Maîtres – Nomadisme – Sédentarisation – Hawmat al-ʿAjāma – Hawmat Baḥbāḥ / al-Maḥbūbīn – Séparation spatiale / relationnelle.

المقدّمة

مثّل الجنوب الشّــرقيّ الحاليّ للبلاد التّونســيّة، الّتي تُعــدّ جزيرة جربة جزءا منه، منذ العصر القديم، ولا يزال، مجالا استراتيجيّا يصل بين عوالم مُختلفة: عالم الصّحراء وعالم المتوسّــط، من جهة، وعالم الغرب وعالم الشّرق، من جهة ثانية. وهــي عوالم، وأن بــدت لنا مُتناقضة ومُتنافرة في فــترات فإنّها ظهرت متكاملة ومتواصلة في فترات أخرى. في هذا الإطار جسّــدت الأدفاق البشريّة أحد أهمّ مُحرّكات هذه العلاقات المختلفة داخل هذا المجال المذكور.

ولئن ركّزنا اهتمامنا على العصر الوســيط تبيّن أنّ هذا المجال، الّذي أصبح يُعرف خلال تلك الفترة ب: جنوب شرقيّ إفريقيّة، كان يضمّ «المحجّة العظمى» (التي تُعتبر تواصلا ل: الطّريق الرّومانيّة) وكانت تربط بين مشــرق ومغرب العالم الإســلاميّ. فعبرها أصبحت قوافل الحجيج تتدفّق من بلاد المغرب والأندلس إلى مكّة. وفي اتّجاه عكسيّ عرفت قبلها، أثناء فترات «الفتح»، تعاقب حملات جيش المسلمين.

إضافة إلى أســلمة المنطقة فقد أدّت الحملات الأولى إلى بداية تعريبها. غير أنّ التّعريــب الفعليّ لها ولبقيّة مجال إفريقيّة وبلاد المغرب قد انطلق مع «الهجرة الهلاليّة السُّــلميّة»، خلال أواســط القرن الخامس هجــريّا / 11 ميلاديّا، الّتي جلبــت إلى المنطقــة الأعداد الغفيرة من العرب البــدو، لعلّ من أهمّهم «أولاد شبل» الّذين سنقوم بتتبّع الحركيّة المجاليّة والزّمانيّة لمجموعة منهم صحبة عبيدهم أدّت بهم إلى الاستقرار بجزيرة جربة.

نتناول هذه المسألة ضمن عنصرين أساسيّين نُحاول أن نُجيب، من خلالهما، على الأسئلة التّالية:

– كيف حوّل هذا التّرحال (في المكان وعبر الزّمان) «أولاد شبل» وعبيدهم من البداوة إلى الاستقرار؟ وما هي الأسباب المفسّرة لذلك؟

– كيف نقلهم من مجال القبيلة إلى مجال الحومة؟ وما هي نتائجه؟

أوّلا: من البداوة إلى الاستقرار

أكّـــدت لنا الأبحاث الميدانيّة والمعطيات النّصيّة تكوّن قبيلة «أولاد شـــبل» من مجموعتين: مجموعة البيض (الأسياد) ومجموعة السّود (العبيد). كما أفادتنا بأنّ الانتشار الأوّل ل: «أولاد شبل» ببلاد المغرب كان قد حدث انطلاقا من جهة طرابلس على إثر تغريبة بني هلال و بني سُليم إلى إفريقيّة في منتصف القرن الخامس للهجرة / 11م.

ومن أهمّ مناطق الاســـتقرار الّتي أفضت إليها رحلة «أولاد شـــبل» بجنوب شرقيّ إفريقيّة نذكر شبه جزيرة جرجيس وجزيرة جربة.

1. مرحلة التّرحال وبداية مخزنة القبيلة

نرى من الضّروريّ، في هذه الفقرة، أن نتتبّع أهمّ مراحل تنقّل «أولاد شبل» في طريـــق اســـتقراهم بجزيرة جربة. غـــير أنّ التّدقيق في هـــذه التّفاصيل يُصبح أكثر جدوى عند محاولتنا الكشـــف، قبل ذلك، عن فترة ترحال هذه المجموعة وانتشارها بجنوب شرقيّ افريقيّة على إثر الغزو الهلاليّ — السُّلميّ.

أ- مسار الانتقال من التّبدّي إلى الاستقرار

«أولاد شبل» هم فرع من الفروع العديدة لقبائل بني سُليم الّذين هم، على حدّ تعبير ابن خلدون، «بطن مُتّســـع من أوســـع بطون مُضر وأكثرهم جموعا، وكانت منازلهم بنجد. وهم سُـــليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس، وفيهم شعوب كثيرة[2]. كما يُخبرنا، نفس المؤرّخ، أنّ من بطون بني سُليم بإفريقيّة في عهده (القرن 14م)» أربعة بطون: زَغب وذياب وهبيب وعوف»[3].

2 ابـــن خلدون (عبـــد الرّحمان)، تاريخ ابن خلـــدون، دار الكتب العلميّـــة، بيروت – لبنان، 2006، الطّبعة الثّالثة، المجلّد السّادس، ص 83.

3 نفسه، ص 84.

إنّ ما يهمّ، في هذه الدّراسة، هو بطن «زغب» نظرا لانحدار «أولاد شبل» السُلميّين منه. وقد استعرض صاحب كتاب العبر بعض أقوال النّسّابة والمؤرّخين بخصوص هذا البطن حيث أورد ما يلي: «فأمّا زغب فقال ابن الكلبيّ في نسبته: زغب بن نصر بن خفاف بن امرئ القيس بن بُهنة بن سُليم. وقال أبو محمّد التّجاني من مشيخة التّونسيّين في رحلته أنّه زغب ناصر بن خفاف بن جرير بن ملاك بن خفاف، وزعم أنّه أبو ذياب وزغب الأصغر الّذين هم الآن من أحياء بني سُليم بإفريقيّة. وقال أبو الحسن بن سعيد: هو زغب بن مالك بن بهنة بن سُليم، كانوا بين الحرمين، وهم الآن بإفريقيّة مع إخوانهم..»[4].

يقتضي التّدقيق في نسب «أولاد شبل» الوقوف عند انتسابهم إلى «أولاد دبّاب». وتُعتبر رحلة التّجاني، بين 706 و 708 للهجرة / 1306 – 1308م، أقدم وثيقة استقى منها صاحب العبر معلوماته حول بني دبّاب، إذ يورد صاحب الرّحلة ما يلي: «... وفي مرحلتنا هذه فارقنا أرض بني أحمد و دخلنا في أرض زغب، وزغب قبيلة تُنسب إلى زغب الأصغر ابن زغب الأكبر بن جرو بن مالك يجتمعون مع دبّاب، في هذا المعنى يقول الدّبّابيّون أنّ زعبا منهم يريدون هذا القرب الّذي بينهم في النّسب، وقد تبيّن من كلامنا هذا و ممّا تقدّم أنّ زعبا الأكبر ولد ولدين زعبا الأصغر...و ربيعة أبا دبّاب، فدبّاب على هذا هو ابن أخي زعب الأصغر وإذا تداعى الزغبيّون بزغب فإنّما يعنون به الأصغر...»[5].

يُحدّد ابن خلدون مواطن «دبّاب» في عهده، «... ما بين قابس وطرابلس إلى برقة ...»[6]. كما يُعدّد بطونهم ومنها أولاد أحمد وبنو زيد والنوائل وأولاد سنان بن عامر وأولاد وشاح بن عامر. ويُضيف «... وهم (أي الدّبّابيون)

4 نفسه، نفس الصّفحة السّابقة.

5 التّجاني (أبو محمّد عبد اللّه بن محمّد بن أحمد)، رحلة التّجاني، الدّار العربيّة للكتاب، تونس – ليبيا، 1981، ص 141، 142؛ ابن خلدون، نفس المصدر، ص ص 97 – 99.

6 ابن خلدون، نفس المصدر، ص 99.

بطنان عظيمان: المحاميد بنو محمود بن طوق بن بقية بن وشـــاح ومواطنهم ما بين قابس ونفوســـة وما إلى ذلك من الضّواحي والجبال. ورئاســـتهم لهذا العهد في بني رحاب بن محمود لأولاد ســـبّاع بن يعقوب بن عطيّة بن رحاب. والبطن الآخر الجواري بنو حميد بن جارية بن وشـــاح ومواطنهم طرابلس وما إليها مثل تاجورا وهزاعة وزنزور وما إلى ذلك. ورئاستهم لهذا العهد في بني مرغم بن صابر بن عسكر بن علي بن مرغم...»[7].

يتبيّن لنا أنّ «أولاد شبل» ينتمون إلى المحاميد أي إلى أحد البطنين العظيمين من بني دبّاب حســـب التّعبير الخلـــدونيّ[8]. واعتبارا لما تقـــدّم توضيحه يكون «شـــبل» أحد أحفاد محمود بن طوق بن بقيّة بن وشاح بن عامر بن جابر بن فائد بن رافع بن دبّاب الجدّ الأعلى للمحاميد[9].

تجدر الإشارة إلى أنّ قبيلة المحاميد تولّت الزّعامة لغالبيّة المناطق الواقعة غرب وجنـــوب غرب طرابلـــس منذ عهد الحفصيّين. غير أنّ هـــذه المنزلة الّتي بلغتها القبيلـــة لم تكن إلّا نتيجة لمســـار طويل بدأ منذ عهـــد الموحّدين، إذ نجح عبد المؤمن بن عليّ في إيقاف المدّ البدويّ بإفريقيّة واعتماد التّهجير القسريّ للقبائل الهلاليّة إلى المغرب الأقصى والأندلس. وقد ســـاهمت هذه السّياســـة في إفراغ البلاد من عدد كبير من بني هلال وفي إعادة التّوازن بين البدو والحضر بإفريقيّة، وهو توازن بدأ يختلّ حتّى قُبيل الغزو الهلاليّ وزاد تدعّمه إثر وقعة حيدران ســـنة 443 للهجرة / 1052م الّتي ســـاهمت في تدفّق البدو وســـط البلاد وشمالها بعد أن كانـــت ظاعنة في بلاد برقة وجهة طرابلس وهو ما ســـاهم في انتشـــار نمط

7 نفسه، نفس الصّفحة السّابقة.

8 لمزيد التّفاصيل حول انتشـار الدّبّابيّين بجنوب شـرقيّ إفريقيّة، راجـع: التّجاني، نفس المصـدر، ص ص 85، 86، 104، 110، 111، 113، 141، 180، 310 و313؛ وحـول مواضع المحاميد، بنفس المنطقة، انظر أيضا: نفس المصدر: ص ص 104، 118، 179، 180، 187، 188، 197، 205، 206، 212 و213.

9 لمزيـد التّفاصيل، راجع: بوزرارة (محمّد)، شـعوب بنـي دبّاب بين التّاريخ والأنسـاب، مطبعة التّسفير الفنيّ، تونس 2021، الطّبعة الأولى، ص 74 – 77.

العيش الرُّحّلي. وقد تواصل هذا التّهجير منذ سنة 576 إلى 630 هجريّا تاريخ القرار الحاسم الّذي اتّخذه أبو زكرياء الحفصيّ في استجلاب بني سُليم (ومن بينهم المحاميد) ودحر رياح نحو الغرب. وقد تمكّن بذلك من تحويل النّزاع بين القبيلتين (الهلاليّة والسُّلميّة) لصالحه كي يتخلّص من قبيلة معارضة ويعوّضها بأخرى مخزنيّة[10].

وفي الجملة، فإنّ جنوب شرقيّ إفريقيّة تحوّل تحت نفوذ الدّبّابيّين، في العهد الحفصيّ، وقد كان مُقسّما إلى بطنين متوازيين من قبيلة دبّاب: المحاميد، ومن بينهم «أولاد شبل» الممتدّ تواجدهم من وادي زركين جنوب قابس حتّى جبل نفوسة و«الجواري» النّازلين بين جبل نفوسة وزوارة وصبراطة. وارتبطت القبائل البربريّة بإحدى هاتين القبيلتين اللّتين تُوفّران لها الحماية مقابل جباية تأخذها منها[11]. وإن خضعت القبائل البربريّة لحماية القبائل الدّبّابيّة وأهّمها الجواري والمحاميد، فإنّ قوّة العلاقة بين هذه الأخيرة وسلطة الحفصيّين تفسّرها الخلفيّة الاقتصاديّة والتقاء المصالح. فلقد مكّنت قوّة شوكة المحاميد مثلا من التّحصّل على إقطاعات بموجب ظهير سلطانيّ مقابل خدمة السّلطة والولاء لها[12].

ولا تكمن أهميّة المجال الّذي تُسيطر عليه هذه القبائل في وجوده فقط على طول الطّريق الرّابطة بين المشرق والمغرب ولا على إشرافه على المتوسّط وإنّما تكمن كذلك في اعتباره إحدى نقاط الوصول لبلاد السّودان الأوسط والغربيّ والقوافل القادمة من الصّحراء المحمّلة بالتّبر والرّقيق[13].

10 حسن (محمّد)، المدينة والبادية بإفريقيّة في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس، تونس 1999، الجزء الأوّل، ص ص 35، 40 – 45..

11 نفسه، ص 145.

12 نفسه، ص 147

13 يرى الأستاذ التميمي أنّ ظاهرة العبيد السّود بالبلاد التّونسيّة هي ظاهرة حديثة مقارنة بالعبوديّة الّتي عرفتها البلاد منذ الفترتين الفينيقيّة والرّومانيّة، إذ ارتبطت بالعهد الحفصيّ (القرن 15م). لمزيد التّفاصيل، انظر: التميمي (عبد الجليل)، الرّوابط الثّقافيّة

وبهذا كانت هذه المناطق مراكـــز توزيع لهذه التّجارة المربحة في إفريقيّة وبلاد المغرب وكذلـــك في المدن التّجاريّة الأوروبيّة[14]. ولعلّ من بين المراكز التي لعبت دور همزة الوصل بين المشـــرق والصّحراء والبحر المتوسّط، بجنوب إفريقيّة، نذكر منطقتي شـــبه جزيرة جرجيس وجزيرة جربة اللّتين عرفتا اســـتقرار مجموعات من المحاميد أهمّها «أولاد شبل».

ب - الانخراط في التّجارة الصّحراويّة وظاهرة العبوديّة داخل القبيلة

أكّدت لنا جميع المقابلات والشّـــهادات الشّفويّة[15] مع مُنتمين إلى مجموعتي «العجامة» و«أولاد شـــبل» في جزيرة جربة وفي حسي الجربي بجرجيس وكذلك

المُتبادلة بين تونس وليبيا ووســـط وغرب إفريقيا خلال العصر الحديث، منشـــورات (م. ت. م) عدد 7، تونس 1981، ص 10.

14 حسن، نفس المرجع، ص 138، 139.

15 الشّهادة الشّفويّة هي مصدر شفويّ يستقيه الباحث خلال مقابلة تجمعه بشاهد أو فاعل وفق ترتيبات وتقنيات مضبوطة. فالمقابلة هي أســـاس المصدر الشّـــفويّ. وهي في أعمّ تعريفاتها مُحادثة مُوجّهة يقوم بها شخص (الباحث) مع شخص آخر (الرّاوي) أو أشخاص آخرين (الرّواة) بهدف الحصول على معلومات، وذلك بواســـطة أســـئلة يتمّ طرحها عليه أو عليهم. وتُجرى المحادثة بشـــكل مباشـــر، أي وجها لوجه، وبقدر من العفويّة. وتُصبح بالنّهاية مُفيدة للباحث في إنجاز بحثه. ويكاد الاتّفاق ينعقد اليوم، في أوساط المؤرّخين، على أهميّة الشّـــهادات الشّفويّة، وزالت تقريبا جملة الاحترازات والاعتراضات حول قيمة هذه النّوعيّة من المصادر. غير أنّ الاعتراف بقيمة المصدر الشّـــفويّ لا يجب أن يجعلنا نغفـــل عن واجب الاحتراس من عمليّـــة «إنتاج الذّاكرة»، وهو مـــا يقتضي التّعامل معه، من قبل المؤرّخ، بمُنتهى الحذر والرّوح النّقديّة. لمزيد التّفاصيل، راجع: ليســـير (فتحي)، تاريـــخ الزّمن الرّاهن: عندما يطرق المؤرّخ باب الحاضر، دار محمّد علي الحامي للنّشـــر، تونس 2012، الطّبعة الأولى، ص ص 122، 127 - 128، 132 - 134؛ وانظر أيضا:
Aron–Schnapper (Dominique), Harnet (Danièle), « D'Hérodote au magnétophone : sources orales et archives orales », in *Annales, Histoire. Sciences Sociales,* 1980, vol. 35, n°1, p. 184 ; Descamps (Florence), *Les sources orales et l'histoire, Récits de vie, entretiens, témoignages oraux,* Paris, Bréal, 2006, p. 53 ; Idem, *L'historien, l'archiviste et le magnétophone,*

مع أشـــخاص أصيليّ نفزاوة (قبلّـــي ودوز) أنّ المنتســـبين إلى المجموعة الأولى (العجامة) كانوا عبيدا لأفراد المجموعة الثّانية (أولاد شبل)، وهو وضع كان ناتجا عن تطوّر تجارة الرّقيق مع بلاد السّودان.

تجدر الإشـــارة، في هذا الصّدد، أنّ تجارة الرّقيق الأســـود وامتلاك العبيد لم يكـــونا غريبين عن نمط عيش القبائل العربيّة في بيئتها الأولى منذ فترات ما قبل الإســـلام. وتبعا لذلك لم يكن منزل شـــريف من أشراف العرب يخلو من عبيد يســـتعملهم في حاجيات منزلـــه. كما اتّخذ العرب إماءً حبشـــيّات فأنجبن لهم عبيدا. كما كان العرب، قبل الإســـلام، يســـتعملون في حروبهم ما يشترونه من هـــذا الرّقيق، واتّخذوا منهم حُفراء وحُماة لقوافلهـــم. وكان ملوك اليمن وأمراؤها وكذلك رؤساء القبائل بالحجاز يتّخذون من هؤلاء العبيد حرسهم الخاصّ[16].

ومع انتشار العرب المســـلمين ببلاد المغرب كانوا يملكون الرّقيق ويستوردونه من بلاد السّودان الوسطى أيضا، وهي الواقعة جنوب إفريقيّة. وقد اتّسع مدى جلب الرّقيق الأســـود وامتلاكه من هذه المنطقة عند العرب، كما اتّخذ شـــكلا تجـــاريّا في العصور المواليـــة وخاصّة في القرنين الثّالـــث والرّابع للهجرة، إذ كان الأغالبة بالقيروان والرّســـتميّون بتاهرت يتزوّدون بالرّقيق الأسود ويصدّرونه إلى البلاد الإســـلاميّة الأخرى. وفي العهد الفاطميّ، تمكّن حكّام تونس، بداية من

Paris, Institut de la gestion publique et du développement économique, comité pour l'histoire économique et financière de la France, 2005.

16 -الأصفهانـــي (أبو الفرج)، الأغاني، تحقيق ومراجعة عبد اللّه العلايلي وموســـى ســـليمان وأحمـــد أبو ســـعيد، طبعة بـــولاق 1285هجريّا، الجـــزء الثّالث، ص 20؛ نفســـه، الجزء الخامس عشـــر، ص 122؛ بـــن عامر (توفيق)، الحضارة الإســـلاميّة وتجارة الرّقيق خلال القرنين الثّالث والرّابع للهجرة، كليّة العلوم الإنســـانيّة والاجتماعيّة بتونس، 1996، الجزء الأوّل، ص ص 33 – 35.

Lammens (Henri), *L'Arabie occidentale avant l'Hégire,* Beyrouth, 1928, p. 244, 292.

سـنة 346 هجريّا / 958م، من السّـيطرة على أهمّ تلك الطّرق ونظّموا قبائل البدو لتوظيف مداخيل هذه التّجارة الرّابحة لفائدتهم[17].

وفي الفترات الموالية للزّحف الهلاليّ – السُّـلميّ، وخاصّة انطلاقا من القرن السّـابع للهجرة / 13م، تمكّن الحفصيّون من التّحكّم في مجال جنوب شـرقيّ إفريقيّة عبر إرسـاء علاقات تحالف مع قبائل بني سُـليم بعد أن وقع إبعاد بني هـلال نحو الغرب. وقد عُدّت هذه المنطقة البوّابة الأساسـيّة لبلاد إفريقيّة من جهة الشّـرق منذ العصر القديم وتواصل ذلك طيلة قرون العهد الإسلاميّ، إذ كانـت منطقة عبور للجُند أثناء فترة الفتوحات، وبعد نحو ثلاثة قرون من هذا التّاريخ، مرّت قوافل بني هلال وبني سُـليم مـن هذه الجهة. ولم تقتصر أهمّيتها على اعتبارها همزة وصل بين المشرق والمغرب، بل كذلك لأنّ هذه المنطقة كانت إحدى أهمّ نقاط البلوغ لبلاد السّـودان الغربيّ والأوسط عبر القوافل التّجاريّة القاصدة للصّحراء لجلب التّبر والرّقيق. وتبعا لذلك، أصبح لأولاد دبّاب وتحديدا للمحاميد والحمارنة وبني زيد والنوائل، دور في خفر هذه القوافل على طول هذه الطّريق، وهو ما مكّنها من أن تُتاجر وتملك العبيد بل وأن تُصبح طرفا في دورة تجاريّة متوسّطيّة تربط بين موانئ المتوسّط لتسويق هذه البضاعة[18].

ويبـدو أنّ البعض من هؤلاء العبيد أصبح لـه مكانته ضمن القبائل العربيّة السُّلميّة، إذ احتلّ موقعا ضمن فئة «النُّخبة»، فقد روى التّجاني في رحلته، في بدايات القرن الثّامن للهجرة / 14م أنّه «...في أوائل شهر ذي الحجّة، تواردت علينا وفود العرب المحاميد، فكان فيمن رأيته منهم رجل أسود اللّون اسمه إبراهيم

17 -ابـن الأثير (أبو الحسـن عليّ)، الكامل في التّاريخ، تصحيح عبـد الوهّاب النّجار، طبعة «ليد»، نشر «طورنبرغ»، 1851 – 1876، الجزء الثّالث، ص 351؛ ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرّحمان بن عبد اللّه)، فتوح إفريقيّة و الأندلس، المكتبة العربيّة – الفرنسيّة، عـدد 2، الجزائـر 1947، ص ص 63 – 65؛ البكـري (أبو عُبيد)، المسـالك و الممالك، طبعة باريس 1965، ص 10 – 11؛ أبو العرب (محمّد بن أحمد بن تميم)، طبقات علماء إفريقيّة، منشورات كليّة الآداب بالجزائر، الجزائر 1914، ص 235.

18 حسن، نفس المرجع، ص 138، 139.

بــن مطرف ويُكنّى أبا زرارة، ذكروا أنّه كان كاهنا من العرب وادّعوا صدقه فيما يتكهّنه وحكوا عنه في ذلك عجائب...»[19].

وقد تطوّرت تجارة الرّقيق الأســود في اتّجاه أوروبا، بشــكل كبير، خاصّة في أواخر القرن 16م، إذ لعبت مدينة طرابلس دورا هامّا في هذا الشّأن بسبب قربها الجغرافيّ من إفريقيــا جنوب الصّحراء و نظرا لتزايد الطّلب خلال تلك الظّرفيّة الّتي انقطعــت فيها مصادر التّزوّد بالعبيد نحــو أوروبا من مناطق أخرى، مثل منطقة البحر الأسود، بسبب التّقدّم العثمانيّ و الصّراع من أجل السّيطرة على العالم المتوسّــطيّ[20]، وهو ما ســيؤكّد مكانة قبائل الجنوب التّونسيّ، ومن بينهم «أولاد شــبل» من المحاميد المقيمين بتلك المناطق، في هذا الصّنف من التّجارة الّــتي دعّمت ملكيتهم للعبيد منذ بداية التّواجد التّركيّ على ســواحل طرابلس وجنوب شرقيّ الإيالة التّونسيّة[21]، ولن تشرع في التّقهقر إلّا بعد قرار إلغاء الرّقّ بالبلاد التّونســيّة من طرف المشــير أحمد باي في 26 جانفي من سنة 1846م. وتبعا لانخراط «أولاد شــبل» في مثل هذه التّجارة المربحة، فإنّنا نُرجّح أنّ القرار كان من بين أهمّ الدّوافع الّتي ســاهمت في انتقال جزء هامّ من أفراد القبيلة من جهة «حسي الجربي» بجرجيس إلى خمس «أُفار» بجزيرة جربة علما و أنّ إجراء أحمد باي كان له بالغ الأثر على نُدرة اليد العاملة بالجزيرة[22].

19 التّجاني، نفس المصدر، ص 197.

20 المنصوري (محمّد الطّاهر)، تونس في العصر الوســيط: إفريقيّــة من الإمارة التّابعة إلى السّلطة المستقلّة، دار صامد للنّشر والتّوزيع، تونس 2015، الطّبعة الأولى، ص 156.

21 يؤكّد الباحثون أنّ وجود العبيد السّــود كان يتركّز أكثر في الجنوب التّونســيّ مقارنة ببقيّة مناطق البلاد، وكانت القبائل تملك المئات منهم. لمزيد التّفاصيل راجع:
Valensi (Lucette), *Esclaves chrétiens et esclaves noirs à Tunis au XVIIèmesiècle,* Annales socio – écono – civil, Novembre / Décembre 1967, p. 1267.

22 Servonnet(Jean) et Laffite (Fernand), « En Tunisie, le Golfe de Gabès 1888 » in, *Jerba une île méditerranéenne dans l'histoire,* Institut national d'archéologie et d'art, Tunis 1982, p. 89 – 90.

2. مرحلة الاستقرار: من جرجيس إلى جربة

اســتقرّ «أولاد شبل» المحاميد بشبه جزيرة جرجيس وخاصّة بمنطقة «حسي الجربي» الّتي لا يفصلها ســوى بضعة كيلومترات عن جنوب جزيرة جربة. وهم ينتمون إلى أصل طرابلســيّ. وقــد مثّلوا جزءا من قبيلة لنفس الاســم بمنطقة شكشــوك بليبيا، وتجــدر الإشــارة إلى أنّ أغلب المنتمــين إلى هذه المجموعة البشــريّة الّذين اســتقرّوا بهذه المنطقة قد حافظوا، إلى اليوم، على لقبهم القبليّ «الشّبلي»[23].

أ- أولاد شبل بجرجيس: علاقتهم بـ «عكّارة» وتطوّرها

وإن كنّا نفتقد مُعطيات حول تاريخ قدوم «أولاد شبل» إلى جرجيس، فإنّ المصادر تُخــبرنا، في المقابل، عن فترة حُلولهم بجزيــرة جربة المجاورة وذلك منذ أواخر العهد الحفصيّ ســنة 966 للهجــرة / 1559م، قادمين من طرابلس في إطار مُحالفتهم للعثمانيّين بزعامة درغوث باشــا من أجل السّيطرة على الجزيرة وإيقاف المدّ الإسبانيّ[24]. وقد شنّ درغوث هذه الهجمة على جربة بعد أن تولّى حُكــم طرابلس وبعد أن هاجم وأخضع ســكّان جبل غريان[25]. فهل بإمكاننا أن نفترض أنّ قدوم «أولاد شــبل» إلى شبه جزيرة جرجيس كان أيضا في تلك الفترة في إطار مُؤازرتهم للعثمانيّين للسّــيطرة على كامل سواحل جنوب شرقيّ الدّولة الحفصيّة؟

لمزيــد التّفاصيــل حول أزمة اليد العاملة بجزيرة جربة بعد قــرار إلغاء العبوديّة من طرف المشير أحمد باي في 26 جانفي 1846، راجع:
Monchicourt (Charles), *L'expédition espagnole de 1560 contre l'île de Djerba,* Paris Ernest Leroux Editeur 1913, pp. 162 – 164.

23 لبيض (ســالم)، تاريخ شــبه جزيــرة جرجيس من العصــور القديمة إلــى نهاية الاحتلال الفرنسي، الشّركة العامّة للطّباعة سوجيم، تونس 2001، الطّبعة الأولى، ص 70.

24 الحيلاتي (ســليمان بن أحمد)، علماء جربة، تحقيق محمّد قوجة، دار الغرب الإســلاميّ، بيروت 1998، الطّبعة الأولى، ص 5.

25 نفسه، ص 5 (الهامش 9).

يبقـــى ذلك مُجرّد فرضيّة منطقيّـــة لكنّها غير ثابتة، غـــير أنّ الثّابت عندنا من خلال الدّراسات هو وجود «أولاد شبل» في شبه جزيرة جرجيس والمناطق المحيطة وانخراطهم في الصّراعات الدّمويّة الّتي كانت تشـــقّ جسم الإيالة العثمانيّة بتونس في عهد الحســـينيّين، في القرن 18م، من خلال وقوفهم إلى جانب «الصفّ الباشيّ» ضدّ «الصفّ الحُســـينيّ»[26]. ولقـــد بلغ صراع الصّفوف في شـــبه جزيرة جرجيس ومنطقـــة التّخوم الطّرابلســـيّة درجة كبيرة من الحدّة حـــتّى أنّ جرجيس عُرفت ب: «بلاد الخوف» نظرا لوجودها في مجال حدوديّ تميّز بالصّراع بين القبائل.

وقد زادت الحـــرب الأهليّة في تأجيج لهيب هذا الصّراع، إذ كان «عكّارة» (وهم فرع من قبائل ورغمّة، يرجع إليها أغلب سكّان جرجيس اليوم) في صفّ الحُســـينيّة، آزروا أولاد حســـين بن عليّ برّا وبحرا لكنّهم انهزموا هزيمة نكراء في جزيرة جربة أمام الباشـــيّة سنة 1735م، ثمّ أدركهم «النوائل» (وهم قبيلة باشيّة من المحاميد) الّذين كانوا في صراع مُستمرّ مع أهالي جرجيس فألحقوا بهم الهزيمة وتمّ إجلاؤهم من شبه جزيرتهم، وهو ما أدّى إلى تفرّقهم فقصدوا نواحي عديدة (ضواحـــي طرابلس وبني معقـــل في جزيرة جربة و منطقة السّـــاحل و الوطن القبليّ وأرياف بنزرت). وحســـب أحد الدّارســـين فـــإنّ «النوائل» مثّلوا فكّي كمّاشـــة بالنّســـبة إلى «عكارة» نتيجة توطّنهم بالأراضي الطّرابلسيّة وكذلك بمنطقة ســـيدي شمّاخ شمال جرجيس[27] وقد انخرط «أولاد شبل» في هذا الصّراع ضدّ «عكّارة» وتحالفوا مع «النوائل»، أبناء قبيلتهم وأصحاب صفّهم[28].

---

26 بـــوزارة (محمّـــد)، التّخـــوم التّونســـيّة اللّيبيّـــة عبـــر التّاريـــخ: نجـــع ذهيبات وجيرانه، دار ســـعيدان للنّشـــر، سوســـة - تونـــس 2014، ص ص 104– 107. يتكوّن الصّفّ الحســـينيّ (عُرف أيضا ب: صفّ يوســـف) من أنصار الباي حسين بن عليّ (الّذي حكم بين 1705 و1740م)، ويضمّ الصّفّ الباشـــيّ (عُرف كذلك ب: صفّ شدّاد) مُساندي علي باشا (الّذي حكم بين 1740 و1756م).

27 لبيض، نفس المرجع، ص ص 29، 32، 60، 78

28 Bedaux (Charles), « Légende des Accara », in *Bulletin de liaison-saharienne, n° 5,* Alger 1951, p.44.

غير أنّ عودة أهالي جرجيس إلى موطنهم، بعد تشريدهم من طرف «النوائل» وحُلفائهم «أولاد شـبل»، لم يكن إلّا مع عهد علي باي (1759 – 1782م) الّذي بنى لهم، في السّنوات الستّين من القرن 18م، بُرجا مُحاطا بخندق لحمايتهم مـن اعتداءات القبائل المجاورة المذكورة وأيضا لخدمة مصالح سـلطة البايات. يحتلّ هذا البرج، مع برج البيبان، موقعا مُشـرفا على الحدود الطّرابلسـيّة، كما يتميّزان بدور هامّ في حماية مرسى جرجيس وأماكن اقتناء الملح بسبخة المالح[29]. وقد مكّـن هذا الوضع الجديد «عكّارة» من الاسـتقرار علـى طول المنطقة السّـاحليّة الممتدّة من رأس مرمور شمالا إلى رأس جدير شرقا، بما في ذلك بحيرة البيبان الثّريّة بالأسماك خاصّة وأنّ هذه القبيلة معروفة باختصاصها في النّشاطين البحريّ والفلاحيّ مُسـتغلّة في ذلك المنطقة الّتي أصبحت تُعرف فيما بعد ب: دخلة عكّارة، الّتي أصبحت مركز اسـتقرار هذه القبيلة بعد أن شـيّد لها علي باي بـرج الحصار، وقام عروش «عكّارة» بتشـييد قصورهـم قُرب هذا البرج وجعلوا من هذه القصور مركزا للتّجمّع أثناء فترات مُعيّنة من السّنة وخزن المؤن وممارسـة الأنشـطة التّجاريّة[30]. فكانت علاقة أهالي جرجيس بدولة علي باي علاقـة ودّيّة التزم خلالها «عـكّارة» بدفع الضّرائب بصفة مُنتظمة، ليس فقط بسـبب نجاح هذا الباي في توطينهم بشـبه جزيرة جرجيس، وإنّما أيضا بسبب توفيقه (وكذلك حمّودة باشا من بعده) في إعادة الاستقرار وتحقيق الرّخاء لشبه الجزيرة ولكامل الإيالة نظرا لإرسـائه علاقات مرنة وليبيراليّة مع الدّول الأوروبيّة والأعيان المحليّين[31].

29 بن عبد العزيز (حمّودة)، الكتاب الباشـي، تحقيق الشّـيخ محمّد ماطور، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس 1970، الجزء الأوّل، ص 52.

30 الشّريف (محمّد الهادي)، «مجتمع أقصى الجنوب التّونسيّ وعلاقته بالبايليك في القرن الثّامن عشـر من خلال وثائق الأرشـيف الوطني»، في شبه جزيرة جرجيس عبر التّاريخ، نشر جمعيّة المحافظة على التّراث بجرجيس، 1995، ص 40.

31 لمزيد التّفاصيل، راجع: الشّريف (محمّد الهادي)، تاريخ تونس، دار سراس للنّشر، تونس 1980، ص ص 86 – 94.

إنّ هذا النّجاح السّياسيّ لدولة البايات الحُسينيّين في عهدي علي باي وحمّودة باشا، وما نتج عنه من تحقيق للرّخاء الاقتصاديّ والاستقرار الاجتماعيّ هو الّذي خفّف من حدّة صراعات الصّفوف وأرسى شبه تعايش حتّى مع المعارضين للشقّ الحُسينيّ من الباشيّة. وهو ما يُفسّر، في نظرنا، إبقاء «أولاد شبل» في شبه جزيرة جرجيس لعلاقات الحوار مع نظام علي باي في نفس الوقت الّذي وقفوا فيه مع إسماعيل بن يوسف باي على إثر هربه بعد مقتل أبيه سنة 1756م، فتدخّلوا لإطلاق سراحه، بعد أن قُبض عليه مُختفيا، من طرف «آغة» برج جرجيس[32].

إنّ التّوازن السّياسيّ الّذي كان قائما في القرن 18م، على الأقلّ في بداية ستّيناته وكذلك في عهد حمّودة باشا، هو الّذي يُمكن أن يُفسّر تعايش «أولاد شبل» (في مركزهم الرّئيسيّ ب: حسي الجربي) مع «عكّارة» في شبه جزيرتهم خاصّة أنّ البلاد والجهة عرفتا، خلال فترتي حكم علي باي (1759 – 1782م) وحمّودة باشا (1782 – 1814م)، رخاءهما الاقتصاديّ الّذي شمل جميع السّكّان بدرجات مُتفاوتة، ومن بينهم أهل جربة الّذين تدعّمت ملكياتهم العقاريّة بمنطقة «حسي الجربي» الّتي أصبحت تُنسب إليهم، وهو ما يُبيّنه العنصر المحدّد لاسم هذا المكان (الجربي)، كما برزت من خلال عنصره العامّ (حسي)[33] طبيعة نشاطهم القائم على الفلاحة السّقويّة الّتي لا شكّ أنّها كانت

32 العوني (محمّد الهادي)، قصر مدنين الحضن الدّافئ لورغمّة: البُناة والبنون، المغاربيّة لطباعة وإشهار الكتاب، تونس 2014، ص 266، 267.

33 إنّ عبارات «حسي» أو «حاسي» أو «أحساء» ليست غريبة عن أسماء الأماكن في البلدان العربيّة. فإلى جانب إقليم «الأحساء» في شرقيّ شبه الجزيرة العربيّة، تزخر طوبونيميا بعض البلدان المغاربيّة بمثل هذه الأسماء. ففي الجزائر نجد مثلا: «حاسي مسعود» و«حاسي الرمل» و«حاسي خليفة» ... وفي البلاد التّونسيّة «حسي الفريد» و«حسي عمر» و«حسي الجربي»... ف «الحسي» هو «.. السّهل من الأرض يستنقع فيه الماء. والرّمل المتراكم تحته صلابة، فإذا نزل المطر منع الرّمل حرّ الشّمس أن يُنشّفه ومنعته الصّلابة أن يغور، فإذا حُفر وجه الرّمل عن ذلك الماء نبع باردا عذبا، كما يحدث في إقليم الأحساء في شرقيّ جزيرة العرب..».

مفيدة ل : «أولاد شبل» المتوطّنين بالمنطقة، إلى جانب بعض الأنشطة الأخرى المرتبطة بالتّجارة الصّحراويّة والمتوسّطيّة.

غير أنّ اختلال هذا التّوازن واستفحال الأزمة، في جميع أنحاء البلاد، سيكون مُتّصلا بالتّغيّرات في الدّاخل والّتي أملاها الخارج منذ سنة 1815 وإلى حدود 1881م، في ما سُمّي بـ: «القرن العصيب»[34].

خلال هذه الفترة، وفي خضمّ هذه الظّروف الصّعبة اقتصاديّا واجتماعيّا، نُقدّر أنّ «أولاد شبل» القاطنين خاصّة في منطقة «حسي الجربي» سيُغادرون، في أعداد هامّة، مكان توطّنهم إلى جزيرة جربة القريبة وقد مسّتهم الأزمة وما نتج عنها من أعباء جبائيّة. ونُرجّح أنّ ذلك بدأ منذ منتصف القرن 19م، وهو ما يُوافق حسب المختصّين بداية تكثّف غراسة أشجار الزّياتين مُعلنة عن تغيّر هامّ في كيفيّة استغلال الأرض[35]، ربّما كان رحيل «أولاد شبل» (شبه الرّحّل) قد ساهم في إرسائه.

ب- أولاد شبل بجربة: علاقتهم بـ«العجامة» وتطوّرها

سبق أن أشرنا أعلاه أنّ الشّهادات الشّفويّة حول «العجامة» و«أولاد شبل» قد كانت في أغلبها من داخل هاتين المجموعتين وأنّ البقيّة أدلى لنا بها أشخاص مُجاورون لهما[36].

راجع: https://www.maajim.com/dictionary

34 الشّريف، تاريخ، ص ص 95 – 99.

35 Douib (Abdelmagid), *La région de Zarzis,* M.D.E.S, Institut de Géographie, Université Paris I, Sorbonne, Paris 1995, p. 91 ; Mzabi (Hsouna), *La Tunisie du Sud–Est,* Faculté des sciences humaines et sociales, deuxième série : Géographie, Volume XXX, Tunis 1993, pp. 210 , 211.

36 وجب التّنويه بكلّ من أدلى لنا بإفادة شفويّة تضمّنت مُعطيات ثمينة حول مجموعتي «العجامة» و«أولاد شبل»، وهم السّادة والسّيّدات: من عجامة جربة، كلّ من عبدو العجيمي وشعبان العجيمي، ومن عجامة جرجيس، محمّد الفورتي، ومن عجامة

تُحيلنا تسـمية «العجامة» مباشـرة إلى مفهوم «العجم» الّـذي يُفيد كلّ الأشـخاص غير المنتمين إلى أصول عربيّة سواء أكانوا ناطقين باللّغة العربيّة أم بغيرها من اللّغات. وهو ما يضعنا أمام تقابل هذا المفهوم مع مفهوم «العرب» ويجعلنا بالتّالي نفترض وجـود صلات تقارب في المعنى بين مفهومي «العجم» في الحضارة العربيّة و«البرابرة» في الحضارة الإغريقيّة والرّومانيّة والمسـيحيّة بعد ذلك، (لعلّ من بين هذه المعاني نذكر معنى الغريب وغير المتحضّر...)، خاصّة إذا علمنا أنّ أسياد «العجامة» (ذوي الأصول الإفريقيّة) هم من عرب المحاميد من بني سُليم[37].

وجب التّوضيح، في هذا الإطار، أنّ اللّقب الرّسميّ لأعضاء مجموعة «العجامة» داخل الجزيرة كما بخارجها هو لقب «العجيمي»[38] وأنّ أسماء الشّهرة العائليّة الّتي

قبلّـي، مصطفى العجيمي، ومن عجامة دوز، توفيق العجيمي. أمّا من أولاد شـبل بجربة – المحبوبيـن فنذكـر، مختار الفورتـي ومفيدة الفورتي. إضافة إلى شـخصين من خارج المجموعتيـن ربطتهما بحومة العجامة علاقات الجـوار والتّعامل وهما حميدة بن عمارة والمنصف بسرور.

37 فيمـا يتعلّق بمفهوم الـ: «عجم»، انظر: ابن منظور (محمّد بن مكرم الأنصاري)، لسـان العـرب المحيط، دار لسـان العـرب، د – ت، المجلّد الثّانـي، ص ص 696 – 699. أمّا بخصوص مفهوم «البرابرة»، راجع:

Le nouveau Petit Robert, dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française, 2008, p. 220.

ضمـن هذا الإطـار، يرى بعض الباحثين، في دراسـتهم حـول الأقلّيّات بشـمال إفريقيا والشّرق الأوسط أنّه «أن تُسمّي هو أن تُقصي». لمزيد التّفاصيل، انظر: الجويلي (محمّد الهـادي)، مجتمعـات للذّاكرة، مجتمعات للنّسـيان: دراسـة مونوغرافيّة لأقليّة سـوداء بالجنوب التّونسيّ، سراس للنّشر، تونس 1994، ص 74.

38 ورد فـي «لسـان العرب «، مصدر مذكـور أعـلاه، ص 696، ما يلـي: «.. يُقال عجميّ وجمعه عجـم، وخلافه عربيّ وجمعه عـرب.. والعجمُ: جمع العجمـيُّ، وكذلك العرب جمـع العربيّ..». غيـر أنّ اللّافت للانتبـاه أنّ اللّقب الّذي عُرفت بـه عناصر مجموعة «العجامـة»، داخل جربـة أو خارجها، هو «العجيمي» وليـس «العجمي». فهل بإمكاننا القـول أنّ المعنى المُراد من صيغـة التّصغير، في هذا اللّقب، (العجيمي) هو تحقير هذه المجموعة المُسـتعبدة والتّقليل من أمرها بما يُجسّـد منزلتها الدّونيّـة، المُثيرة للازدراء، مقارنة بأسـيادها من عرب «أولاد شبل»؟ على خلاف ذلك، ومن زاوية نظر أخرى، اهتمّ

عُرفــوا بها لم تكن إلّا كُنًى (جمع كُنية) للتّمييز بين أُســرهم الّتي تكاثرت على مرّ السّــنين (مثل: عبدو والماعز والهذبول والدّاهش وقمقم وديقول ولريل وغبرة...) وأنّهم لم يأخذوا، في الغالب، ألقاب أســيادهم كما هو الحال بالنّســبة إلى عتيق جربــة. غير أنّ ذلك لم يمنع من وجود بعض «العجامة»، وهم قلّة، ما زالوا، إلى اليوم، يحافظون على لقب أسيادهم (الفورتي)، لكنّ ذلك لم يشمل إلّا «عجامة» حســي الجربي في جرجيس، على خلاف «عجامة» جربة الّذين اشتركوا جميعهم في لقــب «العجيمي». في المقابل، فإنّ اللّقــب الرّسميّ لأغلب عناصر مجموعة أسياد «أولاد شبل» بداخل الجزيرة وبخارجها هو لقب «الفورتي» وأنّ القليل من العائلات المنتسبة إليهم حافظت على اللّقب الرّاجع للقبيلة (الشّبلي).

من جهة أخرى، يتّفق جميع من أدلوا لنا بإفاداتهم الشّفويّة، إمّا تلميحا وإمّا تصريحا، في أنّ «العجامة» كانوا عبيدا لأولاد شــبل الرّاجعين إلى شــبه الجزيرة العربيّة وأنّهم قدموا معا من ليبيا ليســتقرّوا، في مرحلة أولى بمنطقة حسي الجربي (بجرجيــس)، قبل أن ينتهي بهم المقام بخُمس أُفــار (بجزيرة جربة). وقد أفادتنا بعض الرّوايات أنّ ابنين من أولاد شبل (وهما: سعد ومحمّد أخوا مبارك الشّبلي الّذي قدم إلى جربة) اســتقرّا بخارج جربة (رادس بالشّمال التّونسي بالنّسبة إلى ســعد والمغرب الأقصى بالنّسبة إلى محمّد). وتؤكّد إحدى الإفادات أنّ صعوبة

أحد الباحثين بدراسة أسماء الأقليّة السّوداء بالجزيرة، بصفة عامّة، وقد اعتمدها كمقياس يؤشّــر على اندماجها في المجتمع الجربيّ، فلاحظ أنّ حوالي نصف الأقليّة السّــوداء من الذّكور البالغين يحملون اســم: «بركة» و«مســعود» و«ســعد»، وهي نظرة تقوم على تخصيصهم بأســماء و صفات يُرجى من خلالها الخير والبركة والحظّ السّعيد، ممّا يُحيلنا إلى دور العبد ووظيفته الاقتصاديّة والاجتماعيّة داخل الجزيرة، فيُنظر إليه على أساس ما يُطلب منه وما يُكلّف به من مساهمة في تنمية ثروة العائلة لعمله وحضوره الرّمزيّ كطالع خير وبركة، وهو ما يُعطي صورة للباحث أنّ تحديد درجة اندماج الأقليّة السّــوداء، سواء أكــان بجربة أم بغيرها، يحتاج إلى الأخذ بعين الاعتبار مقاييس أخرى لها صلة بالمُعتقد و بالثّقافة بمعناها الواســع. لمزيد الإطّلاع، راجــع: بن طاهر (جمال)، «وثيقة حول الأقلّيّة السّــوداء بجزيرة جربة في أواسط القرن التّاسع عشــر»، في المجلّة التّاريخيّة المغاربيّة، العددان 99 / 100، ماي 2000، ص ص 680-681.

ظروف العيش بحســي الجربي بجرجيس هي الّتي دفعت «أولاد شــبل» للقدوم إلى جزيرة جربة، إذ أنّ أفراد القبيلة (عبيدهم وأســيادهم) اشتغلوا أوّل قدومهم بالفلاحة عند العائلات الميسورة بالجزيرة. كما تُجمع كلّ الشّهادات الشّفويّة أنّ مسألة الزّواج المختلط بين أفراد مجموعتي «العجامة» و«أولاد شبل» (الشّبلي أو الفورتي) أمر مســموح بــه ودارج خاصّة قبل الرّحيــل إلى جربة . فمبارك الشّــبلي، وهو جدّ القادمين إلى الجزيرة، قد تزوّج أمة سودانيّة فأنجبت له أبناء منهم واحد سمّاه على اسمه وهو مبارك العجيمي نسبة إلى أُمّه الأعجميّة (الأمة السّــوداء). في المقابل، أكّد لنا أحد المنتســبين إلى «حومة العجامة» أنّ جدّة عمّــه بيضاء من عائلة الفورتي تُدعى «ماميّة الفورتي»، وهو ما يعني، حســب هذه الإفادة، أنّ أفراد أسرة الفورتي هم أخوال العجامة.تُؤكّد لنا جميع الإفادات الشّفويّة و الزّيارات الميدانيّة أنّ «أولاد شبل»، عند قدومهم إلى الجزيرة، توزّعوا علــى منطقتين: الأولى في جزء مــن مغراوة، و أصبح يُعــرف بعد ذلك ب: «حومة العجامة «نســبة إلى ســاكنيها من «العجامة» (السّود)، أمّا الثّانية فهي في ناحية من المحبوبين وخاصّة في «بحاح» يقطنها «أســياد» أولاد شبل من عائلات الشّبلي (لقبهم الغالب هو: الفورتي)، ويفصل بين المنطقتين اليوم «جامع حاضر باش» الواقع على الطّريق المعبّدة الرّابطة بين ميدون والماي.

كانت إجابات من تحاورنا معهم مُختلفة بخصوص أوّل من توطّن في «حومة العجامة»، هل هو مبارك الشّــبلي (السّــيّد العربيّ) أم مبارك العجيمي (العبد الأعجميّ)؟ فقد وضّح البعض، من عائلة الفورتي، أنّ مبارك الشّبلي قد استقرّ، مــع أمته الّتي تزوّج بها، أوّل قدومه إلى مغراوة بالمكان الّذي ســيحمل اســم «حومــة العجامة» ثمّ أصبح بعد وفاته حومة[39] تحمل اســم عبيده (العجامة)،

39 الحومة: تمثّل، إلى جانب الحارة، الوحدة الأساســيّة للمشهد التّعميريّ بجزيرة جربة. لمزيد التّفاصيل، راجع: بربو (المنصف)، «الحومة بجزيرة جربة خلال العهد الوســيط: مفهومها، تاريخ ظهورها ومكوّناتها» مجلّة الحياة الثّقافيّة، العدد 240، السّنة 38، أفريل 2013، ص ص 91 – 101؛ نفــس الكاتــب، تنظيم المجال والتّوطين والتّعميــر بجزيرة جربة في العهد

بينما استقرّ بقيّة «الأسياد» ببحباح. بالمقابل، أفادنا البعض الآخر من (أسرة العجيمي) أنّ جدّهم مبارك العجيمي هو أوّل المؤسّسين لهذه الحومة.

رغم هذا التّضارب حول مُؤسّس الحومة، فإنّ الإجماع كان حاصلا بين الطّرفين على أنّ حومة العجامة مخصّصة لسكنى عبيد «أولاد شبل»، وأنّ الأسياد استقروا بمكان مختلف وهو «المحبوبين». كما اتّفقت جميع الإفادات من أعضاء المجموعتين على أنّ أسياد «أولاد شبل» قدموا إلى جربة وقد تردّت أوضاعهم المادّيّة وتدهورت مكانتهم الاجتماعية وانحدروا بالتّالي إلى مرتبة عبيدهم، إذ لم يعد بإمكانهم أن يتصرّفوا في مُلك أو أن يُنمّوا ثروة سواء أكانت من رعي أم من محصول أرض أم من تجارة. لذا بحث هؤلاء الأسياد القدامى عن أسياد جُدد يأخذون بأيديهم ويحمونهم في موطنهم الجديد. فكان «آل بن عيّاد» هم أصحاب النّفوذ الجُدد بالجزيرة الّذين ترأسوا «مؤسّسة القيادة».

وفي هذا الإطار، أفادنا أحد أفراد عائلة «الفورتي»، الّذين التقينا بهم أنّ أجداده الأُول من أسياد «أولاد شبل» السّابقين الّذين قدموا إلى جربة بعد أن ضاقت بهم الحال، قد استقرّوا أوّلا في جهة المحبوبين وتحديدا في منطقة (قُرب مكان يُعرف اليوم ب: التّوتة) سُمّيت «القيطنة» كانت فراوة (قطعة أرض غُرست نخيلا) على ملك أسرة بن عيّاد، تُعرف اليوم ب: الدّيسيّة، أقاموا بها أخصاصهم، واقتسموا هذه الأرض، الّتي منحها لهم بن عيّاد ثمّ تفرّقوا، بعد أن كثر عددهم، لخدمة العائلات المحلّيّة الميسورة. وفي هذا السّياق، ذكر مُحدّثنا أنّ جدّه كان قد اشتغل ب: «الخماسة»[40]عند عائلة «المرابط» الميسورة في جهة المحبوبين وأقام بكوخ على أطراف منزلها.

الوسيط، رسالة بحث لنيل شهادة الدّكتوراه في علوم التّراث، إشراف الأستاذ محمّد حسن، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس 2018، ص ص 538 – 542.

40 يُعرّف الأستاذ الهادي التّيمومي عقد الخماسة كما يلي: «عقد شغل فلاحيّ يكاد يقتصر وجوده على بلدان المغرب العربيّ دون غيرها من البلدان العربيّة الإسلاميّة الأخرى. وتُشير بعض المصادر إلى أنّ بلدان المغرب العربيّ عرفت الخماسة قبل مجيء العرب

من جهة ثانية، فإنّ عبيد «أولاد شـبل» السّـابقين من «العجامة» بحثوا، هم أيضا، مثل أسـيادهم القدامى، عن أسياد جُدد يعرضون عليهم خدماتهم، فـكان اتّصالهم بعدد من العائلات الميسـورة بمنطقة اسـتقبالهم، مثل أسـر: «ونّيش» و«بحر» و«بن موسـى» و«النّـوّال» الّتي عملت على «تخميس»[41] هؤلاء «العجامة» على إثر إلغاء الرّقّ سـنة 1846م. وتبعا لفكّ الارتباط بين «العجامة» وأسيادهم السّابقين، تحرّروا من انتسابهم إليهم، فبعد أن كان لقب الواحد منهـم: «العجيمي – الفورتي»، صـار «العجيمي» فقط، بل أصبح أغلبهـم يُعرف عند العامّة بكُنيتـه (مثل: قمقم أو لريل أو غبرة...). بالمقابل، لئن لم تمنح هذه العائلات الميسـورة ألقابهـا العائليّة إلى «عبيدها الجدد» فإنّها اقتطعت لهم بعض الأراضي في شـكل هبات كما كان الأمر بالنّسبة إلى أسرة «النوّال» الّتي منحت أرضا لعائلة «العجيمي»[42].

أجمع كلّ من حاورناه من أسـر «العجيمـي» و«الفورتي» وحتّى من خارج هاتين المجموعتين من متسـاكني جهة ميدون أنّ الأنشطة الّتي مارسها الوافدون

إليها في القرن السّـابع بعد الميلاد. وعقد الخماسة عقد يمتدّ على سنة ويربط بين فلّاح كبير أو متوسّـط أو صغير، من جهة، ومُزارع فقير لا يملك سوى قوّة عمله أو يملك أرضا صغيرة ليسـت له القدرة على فلحها، من جهة ثانية... وعقد الخماسـة عقد شـفويّ أو كتابيّ... وصورة هذا العقد أن يُخرج أحد المُتشاركين في الحرث جميع ما يحتاج إليه من أرض وبـذر وبقر وآلة ويُخرج الآخر عمل يده فقط، على أن يكون للعامل جزء من الصّابة كالخُمس أو الرُّبع وللآخر ما بقي...». لمزيد التّفاصيل، راجع: التّيمومي (الهادي)، «مهنة الخماسـة في تونس بين التّشـريع والواقع (1861 – 1875) «، في المُعيّبون في تاريخ تونس الاجتماعيّ، المجمع التّونسـيّ للعلـوم والآداب والفنون، بيت الحكمة 1999، ص ص89 - 142.

41 تخميس: أي التّعامل وفق عقد الخماسـة. انظر: التّيمومي، نفس المرجع، ص ص 89 – 142.

42 انسـجاما مع الاستنتاجات الّتي أوردها الأسـتاذ جمال بن طاهر، لاحظنا كذلك أنّ مصير «العجامـة» ارتبط ببعـض العائلات الفلاحيّة من الجهة ولم يرتبـط بالأعيان المحليّين. بالمقابل، سعى هؤلاء الأعيان، وعلى رأسهم «آل بن عيّاد» إلى توظيف الأسياد القدامى من أُسر الفورتي / الشّبلي. لمزيد التّفاصيل، انظر: بن طاهر، نفس المرجع، ص 678.

الجدد من الأسياد السّابقين و عبيدهم، في أماكن توطّنهم الجديدة بجهتي محبوبين / بحباح أو مغراوة / العجامة، كانت مُتشابهة بالنّسبة لذكور المجموعتين، وقد تعلّقت بدرجة أولى بخدمة الأرض مثل حفر الآبار والحراثة و الغراسة و الزّراعة والحصاد، زيادة على مُمارسة بعض الحرف في علاقة بالعمل الفلاحيّ مثل صناعة الحبال والقفاف من سعف النّخيل وغيرها، إضافة إلى حرف مرتبطة بأنشطة اقتصاديّة أخرى كـ: «الحمّال» و«البرّاح» أو بخدمات مُختلفة مثل «الحجّام» و«الحارس»، إلى جانب الأنشطة المتعلّقة بالأفراح والأتراح. من جهة ثانية، وفيما تعلّق بالإناث، فإنّ محدّثينا لم يخبرونا عن أعمال مارستها نسوة مجموعة أسر «الفورتي / الشبلي» خارج منازلهنّ، بالمقابل فقد اشتغلت نسوة «العجامة» في عديد المجالات، مثل: «البيع المتجوّل» الموجّه خاصّة إلى النّسوة في «الحوم» أو كـ: «خدم في المنازل» إضافة إلى الأنشطة المتعلّقة بإقامة الأفراح مثل الاعتناء بزينة العروس...

وفي الجملة، سواء تعلّق الأمر بأنشطة رجال مجموعتي «الفورتي» و«العجيمي» أم المرتبطة بنساء «العجامة»، فإنّ القاسم المشترك بين جميع هذه الأنشطة هو احتلالها الدّرجة السُّفلى في سُلّم الأنشطة الاجتماعيّة، فهي مُرهقة وشاقّة في أغلبها، ولا يقبل أن يُمارسها إلّا من كان من المنتمين إلى الطّبقات الفقيرة الّتي ارتبط مصيرها بمصالح أسيادها الجدد بجزيرة جربة.

وإن انحدر «أسياد» أولاد شبل القدامى إلى مرتبة «الأتباع» في بيئتهم الجزيريّة الجديدة، فإنّ «عبيد» الأمس من العجامة، وقد «تحرّروا» من أسيادهم السّابقين الّذين أخضعوهم في إطار مجال القبيلة، تعرّضوا من «أسيادهم» الجُدد إلى إخضاع جديد بأشكال جديدة وضمن مجال جديد هو مجال الحومة.

ثانيا: من مجال القبيلة إلى مجال الحومة

تتميّز الأبحاث التّاريخيّة لمسألة سود جربة بنُدرتها. وحتّى عند وجودها، في قليل من الحالات، فهي لم تكن، بالنّسبة إلى البعض، إلّا مجرّد إشارات عابرة

وعامّــة حول أهمّ مناطــق تركّز هذه المجموعات بالجزيــرة[43]، أو حول مجموعة بعينها مثل «الحجاجمة»[44]. من ناحية أخرى، فإنّ الدّراسة الوحيدة الّتي ذكرت مجموعــة «العجامة» لم تقدّم لنا غير إشــارات قليلة مُبيّنــة أنّها تمثّلت في عدّة عائلات تنقّلت حديثا من جرجيس واســتقرّت بالجنوب الشّــرقيّ لميدون، في منطقــة تُعرف بــ: «مركز الصّايغ»، وأنّ هذه العائــلات ما زالت تُحافظ، إلى اليوم، على علاقة بأقاربها في جرجيس[45]. بالمقابل، مثّلت دراســة الأستاذ جمال بن طاهر لوثيقة أرشــيفيّة حول الأقليّة السّــوداء بجزيرة جربة في أواســط القرن التّاسع عشر، عملا مُهمّا، بالنّسبة إلى موضوع بحثنا، استفدنا ممّا ورد فيها من معطيات قيّمة ساعدتنا على تناول هذا الموضوع[46].

يهمُّنا، قبــل ذلك، أن نُدقّق في الظّرفيّة (العامّــة والمحلّيّة) الّتي دفعت هذه المجموعة إلى التّنقّل، مع أسيادها، إلى جزيرة جربة.

1. أزمة المجتمع التّقليديّ وتمزّق النّسيج القبليّ

كنّا قد رجّحنا أعلاه أنّ قدوم «أولاد شــبل» صُحبة عبيدهم من «حسي الجــربي» بجرجيس إلى «أفار» بجزيرة جربة، تمّ على إثر قرار المشــير أحمد باي إلغاء الرّقّ في 26 جانفي 1846 وما ســبقه وما عقبه من مظاهر تأزّم للأوضاع منذ نهاية عهد حمّودة باشا سنة 1814، وهو ما كان له الأثر السّيئ على كامل

43 Tlatli, (Slaheddine), *Djerba et les Djerbiens,* imprimeries Accio, 6 rue d'Italie Tunis 1942, pp. 93-94.

44 قوجــة (محمّد)، «في وثيقة تعود لبداية هذا القرن للشّــيخ العلّامة ســعيد بن تعاريت: التّركيبة السّكّانيّة لجزيرة جربة»، في جريدة الجزيرة، العدد 123، مارس 1998، ص 10.

45 Gouja (Zouhir), *Communauté noire et tradition socioculturelle ibadhite de Djerba (Approche ethnomusicologique),* thèse de Doctorat, sous la direction du professeur Pierre Philippe Rey, Université de Paris – VIII, anthropologie et sociologie du politique, 1996, p. 77.

46 بن طاهر، نفس المرجع، ص ص 669 – 683.

جهات البلاد. لذا رأينا أن نبدأ أوّلا بدراسة الظّرفيّة العامّة، لنتدرّج، بعد ذلك، إلى الخوض في تفاصيل الظّرفيّة المحلّيّة.

أ- الظّرفيّة العامّة: تغيّر موازين القوى بين أوروبا والبلاد التوّنسيّة

تُعتبر سنة 1815 علامة تشهد على التّغيّر الحاصل في ميزان القوى بين أوروبا، وكانت في أوج التّحوّل وفي طريق التّوسّع، وبين البلاد التوّنسيّة، وكانت جامدة أو في تراجع وتقهقر. فإلى حدود ذلك التّاريخ، كانت سلطة البايات، مع حمّودة باشا وقبله مع علي باي، تُمثّل شبه حاجز فاصل بين أوروبا المسيحيّة ثمّ التّجاريّة والمجتمع التّقليديّ التّونسيّ. ومع انهيار هذا الحاجز، تحت وقع الضّغط الأوروبيّ في القرن19م، كان وقع التّلاقي عنيفا ومُضرّا بالبلاد التّونسيّة، إذ سرعان ما عرفت عمليّة تفتّت داخليّ طويلة أفضت بها إلى فقدان السّيادة[47].

عرف الوضع السّياسيّ والاقتصاديّ الأوروبيّ نُقلة نوعيّة في بداية القرن 19م بفعل جملة من الظّروف المواتية أهمّها عودة الأمن إلى نصابه في القارّة منذ سنة 1815 وكذلك بفضل ما وفّرته لها الثّورة الصّناعيّة من قوى اقتصاديّة وعسكريّة وسياسيّة وفكريّة لا تُقاوم، إذ بدأت أوروبا حملتها ضدّ بلدان إفريقيا الشّماليّة بعد هذا التّاريخ بتحجير نشاط القرصنة. وقد أدّى انقلاب ميزان القوى لصالح الأوروبيّين إلى تغيّر ظروف التّبادل الاقتصاديّ للبلاد التّونسيّة معهم، وهو تغيّر فرضته أوروبا بطُرق شتّى ودعّمته سلسلة من السّنوات كانت كارثيّة على المستوى الفلاحيّ، وقد امتدّت إلى زمن مُتأخّر من ذلك القرن. لذا كان تدهور قيمة المنتجات (من حبوب وزيوت وشاشيّة) الّتي تصدّرها البلاد. فقد شهدت الإيالة التّونسيّة قبل 1830، وبصفة تدريجيّة، انتقال تجارة التّصدير ومرابيحها إلى أيدي التّجّار الأوروبيّين الّذين انفردوا باستجلابها. في المقابل، حصل تضخّم في الواردات. وكان من نتائج ذلك اختلال الميزان التّجاريّ وما

47 الشريف، تاريخ، ص 95.

انجرّ عنه من نزيف نقديّ أدّى إلى تضرّر خزينة الدّولة وتراجع مرابيح الطّبقات الميسورة[48].

ولم تزد سياسة الإصلاحات، الّتي أشار بها على الباي القناصل والمستشارون والتّجّار الأوروبيّون في الخارج وحتّى بعض الوسطاء في الدّاخل الوضع إلّا تعقيدا، فلم يجد حكّام البلاد أمامهم من حلّ سوى اللّجوء إلى التّداين الخارجيّ، وهو ما حتّم إثقال كاهل الرّعايا بالضّرائب، وقد زادت الكوارث الطّبيعيّة في سوء أحوالهم. وحتّى الأعيان منهم تمّ إكراههم على أن يساهموا مساهمة باهظة في دعم هذه السّياسة، وهو ما جعلهم يتحوّلون عن مساندتها ويتخلّون عنها شيئا فشيئا. فلهذه الأسباب، الجبائيّة أساسا، اندلعت الثّورات في البلاد من جديد بعد فترة طويلة من الهدوء غطّت عهدي علي باي وحمّودة باشا (1759 – 1814م)، وقد بلغ هذا التّوتّر ذروته سنة 1864م فيما عُرف بـ: «ثورة علي بن غذاهم» الّتي سرعان ما انتشرت في جميع أرجاء البلاد فوقفت ضدّ الباي ومماليكه وسياسته الجبائيّة وإصلاحاته الفاشلة.

ثمّ إنّ إغراق هذه الثّورة في برك من الدّماء، نتيجة القمع الّذي لحقها، إضافة إلى تتابع سنوات من المجاعة والأوبئة أهمّها سنة 1867م، أسهم في تراجع ديمغرافيّ رهيب [49] وفي مزيد من تدهور للأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة تدرّج بها إلى حافّة الإفلاس، فوُضعت أموال البلاد تحت وصاية اللّجنة الماليّة العالميّة سنة 1869م.

48 الشريف، نفس المرجع، ص 96، 97.

49 ضمن هذا الإطار رأت المؤرّخة الفرنسيّة «فالنسي»، أنّ البلاد التّونسيّة، ربّما، عرفت، في القرن 19، «تحوّلا ديمغرافيّا سلبيّا». لمزيد التّفاصيل، راجع:
Valensi (Lucette), *Fallahs tunisiens : L'économie rurale et la vie des campagnes aux 18 ème et 19 ème siècles,* Paris, La Haye, Mouton, 1977, p. 290.

ولم تُؤدّ لا الحرب الأوروبيّة سنة 1870م ولا بعض السّنوات ذات المحاصيل الفلاحيّة الطّيّبة ولا حتّى إصلاحات الوزير الأكبر خير الدّين (بين سنوات 1873 و1877م) إلى إنقاذ البلاد، إذ استسلم البايليك، من جديد، لضغط القناصل الأوروبيّين ولتأثير قسم من رجاله المقرّبين، فكان السّير إلى الهاوية، وتكرّس ذلك بصفة رسميّة في 12 ماي 1881م[50]. ولم تكن الأوضاع، الّتي أدّت إلى فقدان سيادة البلاد، بأقلّ سوء في كامل أرجائها، ومنها جنوب شرقيّ الإيالة وتحديدا جهتي جرجيس وجربة.

ب- الظّرفيّة المحلّيّة: انعكاسات أزمة القرن التّاسع عشر على جهتي جرجيس وجربة

لقد انعكست أزمة القرن العصيب (1815 – 1881م) على علاقة أهالي جرجيس بدولة البايات. فبعد أن تميّزت هذه العلاقة، في فترة أولى، بحماية علي باي (1759 – 1782م) لأهالي جرجيس من اعتداءات القبائل المجاورة وبالتزام «عكّارة» بدفع الضّرائب بصفة مُنتظمة، عرفت الفترة الثّانية، الّتي انطلقت مع بداية القرن 19م، وإلى حدود تركّز نظام «الحماية الفرنسيّة»، بروز نزعة تمرُّد رفض فيها كلّ من الأهالي والمشائخ (رموز السّلطة...) الالتزام بقرارات البايليك[51]. فقد تأثّرت جرجيس بنتائج الأزمة الاقتصاديّة الّتي شهدتها البلاد، وكان وقعها شديدا على السّكّان، وازدادت الأوضاع تعقيدا عندما ارتفعت نسبة الضّرائب وعجز أهالي جرجيس (مثل باقي سكّان البلاد) عن تسديدها، فقامت السّلطة بإرسال حملات إلى المنطقة لاستخلاص الضّرائب المتأخّرة ونظّم علي بن خليفة عامل الأعراض حملة، سنة 1868م، ضدّ عروش ورغمّة وعكّارة انتزع فيها عددا كبيرا من الماشية والإبل والقمح وسجن أربعين من فرسان «عكّارة». وبلغت هذه الأزمة ذروتها بتتالي سنوات الجدب وانتشار

50 الشريف، نفس المرجع، ص ص 97 – 99.
51 لبيض، نفس المرجع، ص 33.

الأوبئة والمجاعات. ولقد سجّلت جرجيس، أثناء هذه الفترة، تراجعا في عدد القادريين على دفع الضّرائب من 1059 نفرا، سنة 1859م إلى 670 سنة 1860 [52]، كما عرفت تقهقرا في عدد سكّانها الّذي انحدر من 6000، سنة 1853م، إلى 5200، سنة 1860م، ليصل إلى 4250 ساكنا ما بين 1884 و1887م[53]. ومن أبرز الأحداث الّتي جدّت، في هذه المرحلة، نذكر «ثورة علي بن غذاهم» سنة 1864م، وقد بيّنّا أنّها شملت جميع أرجاء البلاد. كما نذكر أيضا «ثورة غومة المحمودي» القائد اللّيبيّ، من «حلف شدّاد» وزعيم قبيلة المحاميد، الّذي قاد أحد أكبر التّحرّكات ضدّ العثمانيّين والّتي انطلقت من الجبل الغربيّ بليبيا بين 1835 و1858م. وقد كانت هجرته إلى الجنوب التّونسيّ، في جمع من أنصاره من قبائل المحاميد، آخر حلقاتها، وحطّت بمنطقة الأعراض بين جبال مطماطة وحامّة قابس ونفزاوة، وقد تحالف سكّانها الّذين تعود أصولهم إلى المحاميد مع حركته. وقد أثارت هذه المساندة لغومة وأنصاره حفيظة ممثّلي السّلطة فقرّرت مُحاربته، وشدّدت عليه الخناق ففضّل الرّحيل إلى «وادي سوف» ومنه إلى «غدامس». وفي طريقه وقع في كمين نصبته له كتيبة من جيش الوالي العثمانيّ في «وادي أوال» بين «غدامس» و«درج» بجنوب ليبيا، فقُتل في مارس 1858م[54].

وكان من بين أبرز نتائج حركتي علي بن غذاهم وغومة المحمودي تصدّع الخارطة القبليّة وتشظّيها إلى مجموعات بشريّة متناثرة بعد أن فقدت تماسكها في أحلاف وخسرت ثقلها الدّيمغرافيّ والعديد من مجالاتها التّرابيّة لتحُطّ الرّحال في أماكن أخرى. فتمزّق النّسيج القبليّ وتفرّقت العائلات وهاجرت من أراضيها للبحث عن موطن جديد يُلبّي حاجياتها المعيشيّة والأمنيّة. وهي مأساة عاشها

52 لبيض، نفس المرجع، ص 32.

53 Martel (André), *Les confins saharo – tripolitaine de la Tunisie, 1881 – 1911,* P.U.F, Tome I, 1965, p. 12

54 بوزرارة، شعوب، ص ص 102 – 106.

المجتمع التّونسيّ، خلال تلك الفترة، وخاصّة قبائل الجنوب[55]. وفي هذا الإطار من التّفكّك نُقدّر انتقال قبيلة «أولاد شبل» (المنتمين إلى الصّفّ الباشي)، من جرجيس إلى جربة تحت تأثير الأزمة الاقتصاديّة والاجتماعيّة الخانقة الّتي عرفتها منطقة جرجيس وأيضا مع نهاية حركة غومة المحمودي الّتي ساندها «المحاميد» بجهة الجنوب، وبلا شكّ «أولاد شبل» في شبه جزيرة جرجيس، كما ساندوا قبلها، خلال القرن 18م، «ثورة إسماعيل بن يونس باي »[56].

يبدو أنّ انتقال «أولاد شبل» من جرجيس إلى جربة، كان تجسيدا لبداية مرحلة جديدة تخلّصت فيها، هذه المجموعة، كبقيّة القبائل في البلاد، من ارتباطاتها السّابقة ضمن صراع الصّفوف (الأحلاف) عموما وداخل ما كان يُعرف ب: «الصّفّ الباشي». فحوالي منتصف القرن 19م، وهو التّاريخ التّقديريّ لهجرة «أولاد شبل» من جرجيس إلى جربة، كانت الجزيرة تعيش في فترة «القيادة» منذ قرابة قرن من الزّمن، إذ تتّفق الوثائق التّاريخيّة على أنّ هذه المؤسّسة هي من إحداث العهد الحُسيني وأُقرّت في عهد علي باشا (1735 – 1756م)[57]. إنّ نجاح دولة البايات الحُسينيّين في تركيز هذه المؤسّسة بتعيين أوّل قائد سنة 1156 هجريّا (1743 – 1744م) كان إعلانا عن رغبة السّلطة في إضعاف هياكل النّفوذ المحلّيّ. وإن كانت مؤسّسة «قايد» جربة، في بداياتها، ولمدّة ستّ عشرة سنة، قد أُسندت إلى أفراد من غير الأعيان المحلّيّين، فإنّ الفترة الّتي تلتها كان فيها «القيّاد» يُعيّنون من بين عائلات محلّيّة من «آل بن جلود» ثمّ من «آل بن عيّاد». ويُعتبر هذا التّحوّل مظهرا من مظاهر مُسايرة الأعيان المحلّيّين للسّلطة

55 بوزرارة، التّخوم، ص 103، 104.

56 العوني، نفس المرجع، ص 267. لمزيد التّفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: بن عبد العزيز(حمّودة)، نفس المصدر.

57 المريمي (محمّد)، إباضيّة جزيرة جربة خلال العصر الحديث، كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات بمنّوبة ودار الجنوب للنّشر، تونس 2005، ص 97.

المركزيّة وشكلا من أشكال رضوخهم إلى ضغط البايليك الحُسيني وإلحاق جربة بالنّظام الإداريّ القائم في بقيّة أنحاء الإيالة التّونسيّة[58].

كان «القائـــد» يُختار من بين موظّفي الدّولة مـــن العائلات المخزنيّة، من أعيان الجربيّين أو من غيرهم، وأصبح يُعنى بإدارة الشّـــؤون المحلّيّة للجزيرة فيعمل على اســـتتباب الأمن، وكانت له صلاحيات عدليّة، لكنّ اضطلاعه بالوظيفة الجبائيّة كان الأهمّ بين كلّ وظائفه. من جهة أخرى، وإن كان «القايد» يجتمع، منذ فترة علي باشـــا، بمشـــائخ الأخماس، بصفة دوريّة، باعتبارهم مُمثّلي هياكل النّفوذ المحلّيّ في أقاليمهم، فإنّهم أصبحوا، بعد ســـنة 1834م، يخضعون لسلطته الفعليّة والمباشـــرة بعد احتوائهم من طرف السّـــلطة المركزيّة. وقد اســـتأثر «آل بن عيّاد» أكثر من غيرهم بمؤسّســـة «قايد جربة» خـــلال الفترة الفاصلة بين 1744 و1849م، فاحتكروها لصالحهم مُكوّنين سُلالة حقيقيّة. ونصّت الوثائق التّاريخيّـــة أنّ «قيّـــاد» آل بن عيّاد كان لهم بجربة أعـــوان عديدون يعيّنونهم في مهامّهم، فكانوا يتّخذون لأنفســـهم «تبّاعا» و«خُلفـــاء» و«خُدّاما» وتمتّعوا بنفوذ واســـع فتجاوزوا صلاحيّاتهم وكادوا يســـتقلّون في تســـيير الشّؤون المحلّيّة للجزيرة، باســـتثناء تدخّل الدّولة في تعيينهم أو عزلهم. وكانوا يبحثون عن الثّروة أكثر من بحثهم عن تسيير الشّؤون الدّاخليّة للجهة[59].

وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما تذكره بعض روايات كبار السّـــنّ من «آل بن عيّاد» أنّ عائلتهم اليوم تنســـب نفســـها إلى قبيلة المحاميد من «العرب» وإلى المذهب المالكيّ، وتناســـى هؤلاء تماما أنّهم كانوا، خلال مرحلة مشـــيخة «آل بن جلود» ينتسبون إلى المذهب الإباضي[60]، أمكن لنا، على ما يبدو، أن نجد نوعا من التّناســـب بين قدوم «أولاد شبل من المحاميد» من جرجيس إلى جربة

58 المريمي، نفسه، ص ص 100 –102.
59 المريمي، نفس المرجع، ص ص 102 – 104.
60 المريمي، نفس المرجع، ص 105.

وتوطّن أسـياد القبيلة على قطعة أرض بجهـة المحبوبين (القيطنة) كان «آل بن عيّاد» قد منحوها لهم، حسـب الرّواية الشّفويّة، الّتي قدّمها لنا أحد أحفادهم من أسـرة «الفورتي» المستقرّين اليوم ب: «بحباح» (المحبوبين). بالمقابل، استقرّ عبيد «أولاد شـبل» في جهة قريبة، في منطقة «مغراوة» عُرفت، بعد ذلك، بـ: «حومة العجامة».

2. حومة العجامة: انفصال العبيد عن أسيادهم

بعد أن درسـنا عرضا لأهمّ الشّـهادات الشّفويّة الّتي حصلنا عليها، خلال لقاءات ميدانيّة جمعتنا بأشـخاص مُنتسـبين إلى «أولاد شـبل»، من البيض والسّود، بجزيرة جربة، انتقل أجدادهم من جرجيس للاستقرار بالجزيرة في حومتي «بحباح» و«العجامة»، سنعمل في هذه الفقرة، على مقارنة المعطيات الشّفويّة، الّتي حصلنا عليها، بالمعطيات النّصّيّة، سـاعين إلى إيجاد مواطن الاختلاف و التّشابه بين المصدرين لعلنا بذلك نصل إلى سدّ الثّغرات العديدة الّتي خلّفها لنا شُـحّ النّصوص و نقترب بالتّالي من رسم صورة أقرب ما تكون إلى واقع توطّن المعنيّين بالدّراسة في «المحبوبين / بحباح»، من جهة، و«مغراوة / العجامة» من جهة ثانية،[61] مع تركيزنا على «العجامة» الّذين اسـتقرّوا في مجال منفصل عن أسيادهم.

61 تكمن أهميّة الرّواية أو الشّـهادة الشّفويّة في سـدّها لثغرات الوثائق الأرشيفيّة وفجواتها وملء بياضـات التّاريخ المكتوب، إضافة إلى اهتمامهـا بالتّاريخ اليومي والمعيش الّذي يتحـرّك فيه الفاعلـون الاجتماعيّون، كما تُتيح إدراك الأحداث مـن الدّاخل. فهي بالنّهاية معرفة من الدّاخل. ومن بين إضافاتها كذلك ما تسمح به من ردّ اعتبار الجزئيّ والمُهمّش. لمزيد التّفاصيل، راجع: ليسـير، نفس المرجـع، ص ص -129 131؛ الهرّاس (المختار)، «منهج السّـيرة في السّـو سـيولوجيا»، في إشـكاليّة المنهاج في الفكر العربيّ والعلوم الإنسانيّة، دار توبقال، الدّار البيضاء 1987، ص 92؛ العروي (عبدالله)، مفهوم التّاريخ، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت 1992، الجزء الأوّل، ص 108. وانظر أيضا:
Descamps (Florence), *Les sources orales et l'histoire, Récits de vie, entretiens, témoignages oraux,* Paris, Bréal, 2006, p. 34.

أ- انفصال مجالي

قدّمت لنا إحدى الدّراســات مُعطيات ثمينة جعلتنا نقترب من تحديد تاريخ قدوم «أولاد شــبل» من جرجيس وتوطّنهم بجربــة.إذ كتب صاحبها «... أنّ عكّارة ...أعلنوا تمرّدهم على السّــلطة المركزيّة عبر مُشــاركتهم في ثورة علي بن غذاهم سنة 1864 من خلال عمليّات الإغارة و النّهب الّتي قاموا بها في جزيرة جربة... ففي رســالة من عون بن أحمد الفورتي إلى مصطفى خزندار مُؤرّخة في آخر ذي الحجّة من ســنة 1280هجريّا (8 مــاي – 5 جوان 1864)، أوردها توفيق البشــروش في كتاب ربيع العربان، مــا يلي: «وعكّارة زادوا هجموا على مرست جربة في شقف مسروق لطرابلس ذميّة وركّاب خذوا منه أيضا رزق ناس يعلم الله قدره...»[62].

فهذه الرّســالة بيّنت لنا أنّ أسياد «أولاد شبل»، مُمثّلين في أحد عناصرهم، وهــو «عون بن أحمد الفورتي»[63]، كان مســتقرّا بجزيرة جربة خلال «ثورة علي بن غذاهم» ســنة 1864م. كما تعطينا فكرة عــن انخراطه كعنصر من عناصر هــذه القبيلة في خدمة الجهاز الإداريّ المخزنيّ. ونُقدّر، تبعا لذلك، أنّ توطّنه، مع أفراد مجموعته بجربة، كان سابقا لتاريخ الانتفاضة، وهو ما يُقرّبنا من فرضيّة مجيء «أولاد شــبل»، الأســياد (الشّــبلي / الفورتي) مع عبيدهم (العجامة)، خــلال الفترة الفاصلة بين صــدور قانون تحرير العبيد ســنة 1846م و «ثورة علي بن غذاهم» ســنة 1864م، إذ سبق أن حلّلنا الظّرفيّة الّتي اتّسمت، على

62 البشــروش (توفيــق)، ربيع العربــان، المجمع التّونســيّ للعلــوم والآداب والفنون، بيت الحكمــة، تونــس 1991، ص 243، 244. ولمزيد من المعطيــات حول انخراط جزء من عائلــة الفورتي في خدمة دولة البايات قبل الاســتعمار الفرنســي، انظر: بن الحاج يحيى (الجيلاني)، «البشير الفورتي من خلال آثاره»، في أعلام من جزيرة جربة، جمعيّة صيانة جزيرة جربة 1996، ص 150.

63 كنّا قد بيّنّا أعلاه أنّ أســياد «أولاد شــبل «، داخــل جزيرة جربة أو خارجهــا، قد لُقّبوا بـ: «الشّبلي» أو «الفورتي»، وأنّ عبيدهم أخذوا لقب «العجيمي».

المستوى العامّ، بانقلاب الأوضاع وتأزّمها بالبلاد التّونسيّة مُخلّفة، على المستوى المحليّ، آثارها السّيّئة والعميقة على كلّ من جرجيس وجربة[64].

ولعــلّ ما يدعم ما ذهبنا إليه، هو حصولنــا على وثيقة خاصّة هامّة تمثّلت في نســخة أصليّة من رسم قسمة بتاريخ يوم السّــبت التّاسع و العشرين ربيع الأوّل عــام 1365 للهجرة الموافق للثّاني من مارس ســنة 1946م[65]، تُثبت أنّ «عبــدو بن الحاج مبارك العجيمي» أكبر إخوته، عمره 80 ســنة خلال ذلك العــام (1946م)، كما هو مُبيّن بالوثيقة، فيكون تاريخ ميلاده، حينئذ، ســنة 1866م، وهــي الفترة الّتي يبدو أنّ الحاج مبارك العجيمي كان مُســتقرّا خلالها بـ: «حومة العجامة» صُحبة أمته السّــوداء الّتي أنجبت له أبناءه الثّلاثة: عبدو ومبارك ومحمّد، حسب ما تُؤكّده الرّواية الشّفويّة للعجامة.

64 كان تركّز السّــود بالجزيرة عاليا في أواســط القرن 19م، مقارنة ببقيّــة الجهات، إذ مثّلوا حوالي خُمــس العدد الجمليّ لهذه المجموعة بالبلاد التّونســيّة وقرابــة 5.5 بالمائة من ســكّان جربــة. وقد توزّعوا على أغلــب المجال الجزيريّ. لذا مثّل النّقــص الكبير في اليد العاملة الزّراعيّة بجربة، بســبب قانون تحرير العبيد، في أواســط القرن 19 م، إلى جانب أهميّة هجرة الجرابة خارج الجزيرة، أحد أهمّ الأسباب الّتي دفعت مجموعة «العجامة»، عند قدومها إلى الجزيرة، إلى الانخراط في خدمة العائلات المحليّة و الاستفادة من نظام المُحاصصة لإعادة إدماج العبيد المُتبقّين وكذلك المُحرّرين في الدّورة الاقتصاديّة. لمزيد الإطّلاع، انظر: بارت (هانريش)، ســبع رســائل مخطوطة عن رحلتــه إلى تونس (1845 –31846)، تحقيق وتعريب منير الفندري، بيت الحكمة، تونس 1987، ص 61 (الهامش 12). راجــع أيضا: بوطالب (محمّد نجيب)، «الأوضاع الاجتماعيّة للعبيد السّــود بالبلاد التّونســيّة فــي النّصــف الثّانــي مــن القــرن 19»، فــي المُغيّبــون فــي تاريــخ تونس الاجتماعــيّ، المجمــع التّونســيّ للعلــوم والآداب والفنــون، بيــت الحكمــة، تونس1999، ص393، 394. انظر كذلك: بن طاهر، نفس المرجع، ص ص673، 675-676، 677.

65 انظر الوثيقة رقم 3 في جزء الملاحق. كما نتوجّه بجزيل الشّكر إلى السّيّد عبدو العجيمي (أحــد أحفاد الجــدّ الأوّل ل: «العجامة «القــادم من جرجيس إلى جربــة)، الّذي تفضّل بمدّنا بهذه الوثيقة وبجُملة من الوثائق الأخرى الأصليّة الهامّة الّتي اعتمدنا عليها في هذا البحث.

من جهة أخرى، نُقدّر أنّ اســتقرار مجموعة «العجامة» بمجال الحومة، الّتي عُرفت باسمهم، كان على مراحل وامتدّ على مساحة هامّة من «حومة مغراوة» الواقعة بين «المحبوبين» غربا و«تملال» شرقا، على جانبي الطّريق المعبّدة الرّابطة اليوم بين مركزي «ميدون» و«آغير»[66]. فقد ذكرت لنا الرّوايات الشّفويّة الواردة أعلاه أنّ ملكيّات عائلات «العجيمي» توسّعت، شيئا فشيئا، فتنوّعت أصول ملكيتها متراوحة بين ما هو مُنجرّ عن الهبة أو عن الخماسة أو عن المغارسة أو عن الشّــراء[67]. وكتأكيد لذلك، حصلنا أيضا على وثيقتين أصليّتين أُخريين[68]، تتمثّل الأولى في عقد مغارســة، «محرّر في سبتمبر 1919م، بين علي بن محمّد بحر الجربي الأركوتي والشّوشان عبدو بن مبارك العجيمي [69]، أمّا الثّانية فهي بين نفس الطّرفين، «مؤرّخة في نوفمبر 1928»، وهي عبارة عن عقد قسمة المغارسة المذكــورة، إذ كما جاء في هذه الوثيقة: «... طلب الثّاني من الأوّل ... نصفه من الأرض المذكورة حيث أنّه أتمّ الغراسة وأثمرت الأشجار المغروسة بها ...»[70].

غير أنّ السّــؤال الّذي يواجهنا، في هذا الإطار، يتعلّق، دون شكّ، بدوافع انفصــال «العبيــد» من «العجامة» عن «أســيادهم» من أبناء «الشّــبلي / الفــورتي». نعتقد أنّه يمكننا تفســير ذلك بتدهور الأوضــاع المادّيّة ل: «أولاد شــبل»، قبل انتقالهم إلى جربة وأثناءه، إضافة إلى ظرفيّة ما بعد إلغاء العبوديّة

66 انظر الوثيقة رقم 4 في جزء الملاحق.

67 قدّمــت لنا الوثيقة رقــم 3 معلومات عن انجرار ملكيّة بعــض أراضي العجامة عن طريق الشّراء مثل ما كان ذلك سنة 1907.

68 مدّنا بهما، أيضا، السّيّد عبدو العجيمي.

69 انظــر الوثيقــة رقم 1 في جــزء الملاحق. والمُغارســة: هو عقد يقوم بيــن طرفين، الأوّل يقدّم الأرض والثّاني، وهو المُغارس، يقدّم العمل وغراســة الأشــجار، وذلك مقابل نسبة مُتّفق عليها من الأرض والأشــجار، ولا تتمّ القســمة إلّا في فترة الإطعام، أي عندما تُثمر الأشــجار، ولايمكن للمُغارس التّصرّف في نصيبــه قبل المدّة المعلومة. لمزيد التّفاصيل، راجع: حســن (محمّد)، القبائل والأرياف المغربيّة في العصر الوســيط، دار الرّياح الأربع للنّشر، تونس 1986، ص 62، 63.

70 انظر الوثيقة رقم 2 في جزء الملاحق.

انطلاقا من سنة 1846م. فمن جهة، لم تعد القوانين الجديدة تسمح بتواصل العلاقات القديمة بين الأسياد وعبيدهم، ومن جهة أخرى، لم يعد بإمكان هؤلاء أن يجدوا ما كان يوفّره لهم أسياد الأمس من شغل وحماية لأنّهم انحدروا، مثلهم، إلى أسفل السُّلّم الاجتماعيّ وفقدوا مكانتهم، تبعا لتغيّر ظرفيّة البلاد والجهة، منذ نهاية عهد حمّودة باشا الحُسينيّ (سنة 1814م)، كما سبق أن بيّنّا. وتبعا لذلك، وكما كانت تسمية حومة «العجامة» رمزا لتدنّي مرتبة مُنتسبيها، مقارنة بـ: «العرب» في منظور أسيادهم السّابقين، فهل يمثّل كذلك استقرار عائلات «الفورتي / الشّبلي» بمنطقة «القيطنة»، كما أفادتنا بذلك الرّوايات الشّفويّة، تعبيرا عن تدنّي مرتبة «أسياد الأمس» وانحدارهم إلى صنف «الغرباء» من السّكّان الجدد للجزيرة؟

تجدر الإشارة إلى أنّ تسمية المكان (القيطنة)، الّذي استقرّت به عائلات الفورتي / الشّبلي، ليس غريبا عن طوبونيميا بعض البلدان المغاربيّة[71]. كما أنّ أصل العبارة يُحيلنا على الأرض الفلاحيّة، إذ يتمّ تداول اسم «القيطنة» بين أهالي بعض مناطق الجنوب التّونسيّ (كجهة بني خداش مثلا) لتعني مكان استقرار عائلة للسّكن ولفلح الأرض، وقد يكون لهذا المفهوم علاقة بـ «الغيط»، جمعها «أغواط»، عند أهل الرّيف المصريّ، الّذي يُفيد الأرض الواسعة الّتي يعمل بها الفلّاحون[72] وهو معنى يُقرّبنا، كذلك، من طبيعة منطقة «المحبوبين / بحباح» الّتي استقرّت بها عائلات «الفورتي / الشّبلي» والّتي تميّزت بسهولها الخصبة ومياهها العذبة. فقد بيّنت لنا الإفادات الشّفويّة أنّ «القايد» بن عيّاد، أتى بمجموعات «أولاد شبل» (الفورتي) ومنحها أراض واسعة مغروسة نخيلا

71 فإلى جانب منطقة المحبوبين بجربة سجّلنا وجود هذه التّسمية (القيطنة) في أحد أحياء مدينة توزر بالجنوب الغربيّ التّونسيّ. إضافة إلى ذلك فإنّ «القيطنة» هو اسم لمنطقة قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائريّ.

72 راجع، معجم المعاني الجامع (معجم عربي- عربي) على الرّابط:. https : // www ’ Almaany.com ‘ ar-ar

(فراوة)، بنت عليها أكواخها واستقرّت بها لفلحها، خدمة لمتطلّبات جهاز المخزن في تلك الفترة المتأزّمة من أواسط القرن 19م، دون تمكينها من الاندماج باعتبارها مجموعة غريبة وافدة على الجزيرة.

مُجمل القول، يمكن أن نستخلص ممّا تقدّم، انحدار أسياد «أولاد شبل» السّابقين (الفورتي / الشّبلي) إلى مرتبة عبيدهم، لكن مع اختلاف وحيد، على ما يبدو، تمثّل في ارتباط هذه العائلات بجهاز السّلطة الحُسينيّة، من خلال توظيفهم في سلك الإدارة المخزنيّة. فهل مثّل ذلك المزيد من فكّ الارتباط بين المجموعتين، وبالتّالي تلاشي ما كان قائما بينهما من مختلف مظاهر التّواصل؟

ب- انفصال علائقي

إنّ بداية فكّ ارتباط مجموعة «العجامة» بمجموعة «الفورتي» من «أولاد شبل» بدأ بروزه جليّا عندما تدخّلت العائلات الميسورة أصيلة «مغراوة» مثل عائلات: «بحر» و«بن موسى» و«النّوّال» و«ونّيش»..، وأصبحت تتعامل مع العبيد السّابقين (العجامة)، فوظّفتهم في خدمة الأرض والأشغال الأخرى المرتبطة بها أو المنفصلة عنها بل ومنحتهم بعض الأراضي في شكل هبات لشدّهم إليها، في ظرفيّة تميّزت بالآثار السّيّئة، الّتي خلّفها قانون إلغاء الرّقّ وما انجرّ عنه من نُدرة اليد العاملة وبالتّالي «ضياع المال وعسر الأحوال» بالنّسبة إلى الأعيان المحلّيّين، على حدّ تعبير صاحب كتاب «الإتحاف»[73]. فقد بدأ هذا الانفصال مع التّباعد المجاليّ بين عائلات «العجيمي» و«الفورتي / الشّبلي» وما انجرّ عنه من تغيّر في انتساب «العجامة» إلى الأسياد القدامى، كما بيّنّا أعلاه. فبعد أن كان الواحد منهم يُلقّب رسميّا ب: «العجيمي – الفورتي»، أصبح يُسجّل «العجيمي»، بل ويُعرف عند العامّة والخاصّة بكُنيته، مثل: الهذبول وغبرة وقمقم...، وهو تحوُّلٌ له دلالاته الرّمزيّة، إذ يُعبّر عن نقلة نوعيّة

73 ابن أبي الضّياف (أحمد)، إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس 1999، الجزء الرّابع، ص 100.

عرفتها مجموعة «العجامة»، أبعدتهم عن تبعيّة أسيادهم السّابقين وأدمجتهم ضمن نسيج متشابك من العلاقات داخل مُجتمعهم الجديد الّذي نقلهم من حماية القبيلة (قبيلة أولاد شبل) إلى حماية الحومة (حومة العجامة). ولئن كانت الحماية الأولى حماية مادّيّة سمحت باستغلالهم من طرف الأسياد الأُول فإنّ الحماية الثّانية كانت معنويّة لم تمنع خضوعهم إلى الأسياد الجُدد.

في هذا الإطار، انخرطت مجموعة «العجامة»، منذ منتصف القرن 19م، كغيرها من سود البلاد التّونسيّة، في الدّورة الاقتصادية للجزيرة، لتُصبح مثلهم على هامش قطاعات الإنتاج الرّئيسيّة[74]. فكان اندماجها الوظيفي، على خلاف بعض الأقلّيّات الأخرى، كالأقلّيّة اليهوديّة، يكاد يكون معدوما وغائبا[75]. ضمن هذا السّياق، بيّن لنا أحد البحوث، الّذي اهتمّ بمجموعة السّود بجربة وموقعها ضمن ثقافة المجتمع الإباضيّ المحلّيّ، أنّ الأنشطة الّتي مارستها هذه الأقلّيّة (سود جربة عامّة) لم تكن هي نفسها المنسوبة للهُجّن من مجموعات «الحجاجمة»[76] وبقيّة سود جربة. فقد أوكلت إلى المجموعة الأولى (الحجاجمة) مهن أقلّ عناء مثل: الحجّام والطّهّار والعازف في الأفراح والطّبّاخ والحارس والمنادي في الأسواق (البرّاح)...، بينما تعاطت المجموعة الثّانية (بقيّة سود جربة)، مهن أكثر مشقّة تتطلّب جهدا بدنيّا كبيرا وخاصّة فيما تعلّق منها بخدمة الأرض وحفر الآبار[77].

وإن قارنّا بين ما جاء في بحث الدّكتور زهير قوجة، سابق الذّكر، الّذي لم يُدمج «العجامة» ضمن إحدى هاتين المجموعتين، تبيّن لنا، استنادا لما اتّفقت

74 Largueche (Abdelhamid), *L'abolition de l'esclavage en Tunisie à travers les archives, 1841 – 1846,* Alif, société tunisienne d'étude de XVIIIème siècle, Janvier 1990, p. 35.

75 الجويلي، نفس المرجع، ص99.

76 Gouja, *op. cit, p.* 78.

77 Gouja , *ibid,* p. 82 , 83.

حوله الشّهادات الشّفويّة، الّتي حصلنا عليها، أنّ عائلات «العجيمي» جمعت بين الصّنفين من الأنشـــطة المذكورة. كما أفادتنا أنّ أولى الأشغال الّتي أوكلت إلى أفرادهـــا كانـــت مُرتبطة، بالخصوص، بفلـــح الأرض وحفر الآبار، وهو ما يجعلنا نُقدّر أنّ أنشـــطة مثل: الحراســـة وخدمة المنازل وزينة العروس...، كانت لاحقـــة، بعد أن أصبح بإمكانهم الاقتراب أكثر من بعض العائلات الميســـورة بفعل تقدّم الزّمن، من جهة، وبفعل تغيّر ظروف الحياة ومتطلّباتها بالنّسبة لهذه العائلات من الأعيان، من جهة أخرى.

ورغـــم التّراجع الكبير الّذي ميّز العديد من مظاهر التّواصل بين «العجامة» وأســـيادهم القدامى، من عائلات «الفورتي» و«الشّبلي»، انطلاقا من النّصف الثّـــاني من القرن 19م، على ما يبـــدو، لا يُمكننا أن نغفل، بالمقابل، عمّا تبقّى مـــن علاماته. فهل مثّلت مســـألة الـــزّواج المختلط إحدى هـــذه العلامات؟ لقد وضّحنا، في فقرة سابقة من هذا البحث، أنّ جذور هذا الصّنف من الزّواج انطلقت مع القبائل العربيّة في بيئتها الأولى بشـــبه جزيرتها وتواصلت مع قدوم هؤلاء مع الانتشـــار الأوّل للإســـلام ببلاد المغرب، ثمّ مع وفود مجموعات بني هلال وبني سُليم، خلال القرن 11م، وبقيت قائمة داخل هذه القبائل، بما فيها «أولاد شـــبل» السّلميّين بالجنوب الشّـــرقيّ، ومنها جرجيس وجربة. فقد تبيّن لنا، من خلال بعض الإفادات الشّـــفويّة لمنتمين إلى «العجامة» أنّ هذا الزّواج المختلط ظلّ قائما بين الطّرفين، وفي الاتّجاهين، حتّى أنّ أحد أفراد «العجامة» أكّد لنا أنّ أخواله ينحدرون من إحدى أســـر «الفورتي» المســـتقرّة اليوم بجهة «بحباح» (المحبوبين). غير أنّ خوضنا في نفس المســـألة، مع منتمين إلى أســـر «الفـــورتي» لم يُمكنّا من إثبات ذلك مُؤكّدين أنّ هذا الزّواج المختلط (بين أولاد شـــبل من البيض والسّـــود) توقّف مع مبارك الشّبلي أوّل الوافدين من «حسي الجربي» إلى جربة، حوالي منتصف القرن 19م، عندما تزوّج أمته السّوداء، كما أشرنا إلى ذلك أعلاه، وأنّ ما بقي من علاقات بين الطّرفين لا يتجاوز زيارات المناسبات بين بعض العائلات.

غير أنّ هــذه الإفادات لم تنف، بالمقابل، اســتمرار زواج «العجامة»، إلى اليوم، بأفراد من أُســر «بيضاء البشرة»، مُؤكّدة أنّ ذلك قد تمّ مع «أشخاص غير منتمين إلى عائلات الفورتي / الشّبلي، من داخل جربة وخارجها».

إنّ ما نســتخلصه، في هذا الإطــار، أنّ روابط التّواصل الّتي كانت تشــدُّ «الأســياد» إلى «عبيدهم» القدامى، (وأهمّها الزّواج المختلط)[78]، قد تلاشت تبعا لزوال المصلحة الّــتي كانت تجمعهم. فانطلاقا من اللّحظة الّتي انحدر فيها أصحاب القوّة والنّفوذ من عائلات «الفورتي / الشّــبلي» وتساووا، في وضعهم الاجتماعيّ الجديد، مع عبيدهم السّــابقين (العجامة)، أثناء توطّنهم بجربة، في أواســط القرن 19م على ما يبدو، تمّ فكّ الارتباط بين المجموعتين، ولم يبق من مظاهره ســوى علامات «فاترة» جسّــدتها بعض زيارات المناسبات. غير أنّ الملفت، في نظرنا، هو مدى تمسّك بعض أفراد مجموعة «العجامة»، وإلى أيّامنا، بأنّهم كانوا ولا زالوا يمثّلون جزءا من مجموعة «أولاد شبل» العربيّة السُّلميّة، وهو تمسّك فيه تأكيد، مُعلن وخفيّ، على روابط الدّم والقرابة الّتي يريدونها مُستمرّة عبر الزّمن لما لها من دور في تخفيف وطأة شعورهم بالتّهميش[79].

الخاتمة

حاولنا، من خلال هذا البحث، أن نُســلّط الضّوء على مسار رحلة «أولاد شــبل» من عرب المحاميد السُّــلميّين صحبة عبيدهم «العجامة»، نحو جزيرة جربة. وقد مكّنتنا هذه الدّراســة من الكشــف عن بعض تفاصيل هذه الرّحلة والظّروف الّتي أحاطت بها وتفاعلات هذه المجموعة مع السّــلط المركزيّة وباقي

78 بيّن ابن أبي الضّياف أنّ الزّواج المختلط (بين الأثرياء وإمائهم من السّودانيّات) ما زال أمرا دارجا إلى عهده، إذ لم يكن خلال القرن 19م بالأمر المُستجدّ، في مستوى الأسر الغنيّة، بين المســؤولين الكبار الّذين ضمّوا إلى أسرهم بعض الزّنجيّات. لمزيد التّفاصيل، راجع: بوطالب، نفس المرجع، ص 405

79 الجويلي، نفس المرجع، ص ص 85 – 90.

المكوّنات القبليّة. فهـــي رحلة عبر الزّمان تواصلت قرابة ثمانية قرون (من القرن 11 إلى القرن 19م)، وهي رحلة في المكان، وقد انطلقت من ســـاحل طرابلس إلى جزيرة جربة مرورا بشبه جزيرة جرجيس، على مسافة مئات الكيلومترات.

كما وقفنا على أنّ استقرار «العجامة» في مجالهم المنفصل (حومة العجامة) عن أســـيادهم، من أســـر الفورتي / الشّـــبلي (حومة بحباح / المحبوبين)، الّذين قادوهم في الرّحلة، كان مؤشّرا على فكّ الارتباط بين عبيد الأمس و أسيادهم، نقلهم من حماية القبيلة إلى حماية الحومة؛ كما كان تعبيرا عن التقائهم في وضع جديد تشابهوا فيه في المنزلة والانتماء إلى أسفل درجات السّلّم الاجتماعيّ الّذي كان نتيجـــة تغيّر ظروف التّبادل الاقتصاديّ بين تونس وأوروبا بدءا من ســـنة 1815م ومـــا رافقه من ارتهان البلاد إلى الأجنبيّ، فانقلب التّماســـك الدّاخليّ الّذي كان قائما بين البايليك والأهالي في عهدي علي باي وخليفته حمّودة باشا (1759– 1814م) إلى اختلاف في المصالح عبّر عنه ظهور أرستقراطيّة جديدة ارتبطت بالرّأسمال الأوروبيّ وبالمصالح الجديدة لدولة البايات.

توصّلنا أخيرا إلى أنّ وضع التّهميش مُتعدّد الأوجه لعبيد الأمس (العجامة) وللمُلتحقين بهم من الأسياد القدامى (أولاد شبل)، كان تعبيرا عن نهاية مرحلة من تاريخ البلاد لعبت فيها القبائل دورها في الحفاظ على التّوازنات بين السّلطة والمجتمع التّونســـيّ، وبداية أخرى اختلّت معادلاتها لفائدة أرستقراطيّة جديدة قطعت مع مصالح البلاد والعباد.

ولئـــن سمحت لنا محاولة تناولنا لهذه المســـألة من إنارة جانب رئيســـيّ من جوانب هجرة إحدى المجموعات البشـــريّة نحو بيئـــة جُزريّة عرفت، إلى حدود نهاية العصر الوســـيط غلبة العنصر البربريّ، فقد مكّنتنا أيضا من ملاحظة أنّ هـــذه الهجرات في اتّجاه جربة، الّتي طغى عليها في السّـــابق الطّابع البربريّ، قد بدأت تشهد، منذ العصر الوسيط المتأخّر، تكثّف توافد عناصر جديدة أبرزها العنصر العربيّ والإفريقيّ والتّركيّ و المتوسّـــطيّ نتيجة لتحوّلات عميقة (سياسيّة

واقتصاديّة واجتماعيّة) عرفتها الجزيرة كجزء من المجال الحفصيّ أو العثمانيّ. من جهة أخرى فقد مكّنتنا هذه الدّراسة من الخوض في موضوع أقلّية السّود بجزيرة جربة وهي مجموعة «العجامة» من خلال مقاربة تاريخيّة.

ورغم ذلك فإنّ زوايا عديدة من موضوع السّود مازالت في حاجة إلى تسليط الأضواء واكتشـــاف الخبايا لعـــلّ من أبرزها «عجامة» الجنـــوب الغربيّ (قبلّي ودوز...) أو مجموعة «الحجاجمة» كجزء من سود جربة.

البيبليوغرافيا

أوّلا: المؤلّفات باللّغة العربيّة

1- المصادر

ابن الأثير (أبو الحسن عليّ)، **الكامل في التّاريخ**، تصحيح عبد الوهّاب النّجّار، طبعة «ليد»، نشر «طورنبرغ» 1851 – 1876.

الأصفهاني (أبو الفرج)، **الأغاني**، تحقيق ومراجعة عبد الله العلايلي وموسى سليمان وأحمد أبو سعيد، طبعة بولاق 1285 هجريّا.

بارت (هاينريش)، **سبع رسائل مخطوطة عن رحلته إلى تونس (1845 – 1846)**، تحقيق وتعريب منير الفندري، بيت الحكمة، تونس 1987.

البكري (أبو عُبيد)، **المسالك والممالك**، طبعة باريس 1965.

التّجاني (أبو محمّد عبد اللّه بن محمّد بن أحمد)، **رحلة التّجاني**، الدّار العربيّة للكتاب، تونس- ليبيا، 1981.

الحيلاتي (سليمان بن أحمد)، **علماء جربة**، تحقيق محمّد قوجة، دار الغرب الإسلامي، الطّبعة الأولى، 1998.

ابن خلدون (عبد الرّحمان)، **تاريخ ابن خلدون**، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان 2006.

ابن أبي الضّياف (أحمد)، **إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس 1999.

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرّحمان ابن عبد اللّه)، **فتوح إفريقيّة والأندلس**، المكتبة العربيّة الفرنسيّة، الجزائر 1947.

ابن عبد العزيز (حمّودة)، **الكتاب الباشي**، تحقيق الشّيخ محمّد ماطور، الدّار التّونسيّة للنّشر، الجزء الأوّل، 1970.

- أبو العرب (محمّد ابن أحمد ابن تميم)، **طبقات علماء إفريقيّة**، منشورات كلّيّة الآداب بالجزائر، الجزائر 1914.

ابن منظور (محمّد بن مكرم الأنصاري)، **لسان العرب المحيط**، دار لسان العرب، د- ت.

2 – المراجع

بربو (المنصف)، **تنظيم المجال والتّوطين والتّعمير بجزيرة جربة في العهد الوسيط**، رسالة بحث لنيل شهادة الدّكتوراه في علوم التّراث، إشراف الأستاذ محمّد حسن، كلّيّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس 2018.

البشروش (توفيق)، **ربيع العربان**، المجمع التّونسيّ للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس 1991.

بوزرارة (محمّد)، **التّخوم التّونسيّة اللّيبيّة عبرالتّاريخ، نجع الذهيبات وجيرانه**، دار سعيدان للنّشر، تونس2014.

نفسه، **شعوب بني دبّاب بين التّاريخ والأنساب**، مطبعة التّسفير الفنيّ، تونس 2021.

التميمي (عبد الجليل)، **الرّوابط الثّقافيّة المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب إفريقيا خلال العصر الحديث**، منشورات (م.ت.م)، عدد 7، تونس1981.

الجويلي (محمّد الهادي)، **مجتمعات للذّاكرة، مجتمعات للنّسيان، دراسة مونوغرافيّة لأقلّيّة سوداء بالجنوب التّونسيّ**، سراس، للنّشر، تونس 1994.

حسن (محمّد)، **القبائل والأرياف المغربيّة في العصر الوسيط**، دار الرّياح الأربع للنّشر، تونس 1986.

نفسه، **المدينة والبادية بإفريقيّة في العهد الحفصيّ**، جامعة تونس الأولى، كلّيّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعية بتونس، تونس 1999.

الشّريف (محمّد الهادي)، **تاريخ تونس**، دار سراس، للنّشر، 1980.

نفسه، «مجتمع أقصى الجنوب التّونسيّ وعلاقته بالبايليك في القرن الثّامن عشر من خلال وثائق الأرشيف الوطنيّ»، في **شبه جزيرة جرجيس عبر التّاريخ**، نشر جمعيّة المحافظة على التّراث بجرجيس، 1995.

بن عامر(توفيق)، **الحضارة الإسلاميّة وتجارة الرّقيق خلال القرنين الثّالث والرّابع للهجرة**، كلّيّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعية بتونس، 1996.

العروي (عبد اللّه)، **مفهوم التّاريخ**، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت،1992.

العوني (محمّد العيّادي)، **قصر مدنين الحضن الدّافئ لورغمّة: البُناة والبنون**، المغاربيّة للطّباعة والإشهار، تونس 2014.

لبيض (سالم)، **تاريخ شبه جزيرة جرجيس من العصور القديمة إلى نهاية الاحتلال الفرنسيّ**، الطّبعة الأولى، الشّركة العامّة للطّباعة، سوجيم، مارس 2001.

ليسير (فتحي)، **تاريخ الزّمن الرّاهن: عندما يطرق المؤرّخ باب الحاضر**، دار محمّد علي الحامّي للنّشر، الطّبعة الأولى، تونس 2012.

المريمي (محمّد)، **إباضيّة جزيرة جربة خلال العصر الحديث**، كلّيّة الآداب والفنون الإنسانيّات بمنّوبة ودار الجنوب للنّشر، تونس 2005.

معجم المعاني الجامع (معجم عربيّ - عربيّ)، على الرّابط https : // www. Almaany.com ‹ ar-ar

المنصوري (محمّد الطّاهر)، **تونس في العصر الوسيط: إفريقية من الإمارة التّابعة إلى السّلطة المستقلّة**، الطّبعة الأولى، دار صامد للنشر والتّوزيع، تونس 2015.

المقالات

بربو (المنصف)، «الحومة بجزيرة جربة خلال العهد الوسيط: مفهومها، تاريخ ظهورها ومكوّناتها»، في **مجلّة الحياة الثّقافيّة**، العدد 240، السّنة 38، أفريل 2013، ص ص 91 – 101.

بوطالب (محمّد نجيب)، «الأوضاع الاجتماعية للعبيد السّود بالبلاد التّونسيّة في النّصف الثّاني من القرن 19»، في **المُغيّبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس1999، ص ص 375 – 407.

بن طاهر (جمال)، «وثيقة حول الأقليّة السّوداء بجزيرة جربة في أواسط القرن التّاسع عشر»، في **المجلّة التّاريخيّة المغاربيّة**، العددان 99 / 100، ماي 2000، ص ص 669- 683.

التّيمومي (الهادي)، «مهنة الخماسة في تونس بين التّشريع و الواقع (– 1861 1875)»، في **المغيّبون في تاريخ تونس الاجتماعيّ**، المجمّع التّونسي للعلوم و الآداب و الفنون، بيت الحكمة 1999، ص ص 89 – 142.

بالحاج يحي (الجيلاني)، «البشير الفورتي من خلال آثاره»، **جمعيّة صيانة جزيرة جربة**، 1996، ص ص 150 – 173.

قوجة (محمّد)، «في وثيقة تعود لبداية هذا القرن للشّيخ العلّامة سعيد بن تعاريت: التّركيبة السّكّانيّة لجزيرة جربة»، **جريدة الجزيرة**، العدد 123، مارس 1998، ص10.

ثانيا: المؤلّفات باللّغة الأجنبيّة

1-Ouvrages :

Bedeaux (Charles), « Légende des accara », in *Bulletin de liaison saharienne*, n° 5, Alger 1951.

Descamps (Florence), *L'historien, l'archiviste et le magnétophone*, Paris, comité pour l'histoire économique et financière, Paris, Institut de la gestion publique et de développement économique, comité pour l'histoire économique et financière de la France, 2005.

Idem, *Les sources orales et l'histoire, Récits de vie, entretiens, témoignages oraux*, Paris, Bréal, 2006.

Douib (Abdelmadjid), *La région de Zarzis,* M. D. E. S, institut de Géographie, Université Paris I, Sorbonne, Paris 1995.

Gouja (Zouhir), *Communauté noire et tradition socioculturelle ibadhite de Djerba (Approche ethnomusicologique)*, thèse de Doctorat, sous la direction du professeur Pierre Philippe Rey, Université de Paris – VIII, anthropologie et sociologie du politique, 1996.

Lammens (Henri), *L'Arabie occidentale avant l'Hégire*, Beyrouth 1928.

Largueche (Abdelhamid), *L'abolition de l'esclavage en Tunisie à travers les archives, 1841 – 1846*, Alif, société tunisienne d'étude de XVIII^{ème} siècle, Janvier 1990.

Le nouveau Petit Robert, dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française, 2008.

Martel (André), *Les confins saharo – tripolitaine de la Tunisie, 1881 – 1911*, P.U.F, Tome I, 1965.

Monchicourt (Charles), *L'expédition espagnole de 1560 contre l'ile de Djerba*, Paris Ernest Leroux, Editeur 1913.

-Mzabi (Hsouna), *La Tunisie du Sud- Est*, Université de Tunis I, Faculté des Sciences Humaines et Sociales, deuxième série : Géographie, Volume XXX, 1993.

Tlatli (Slaheddine), *Djerba et les Djerbiens*, imprimeries Aoccio, 6 rue d'Italie, Tunis, 1942.

Valensi (Lucette), *Esclaves chrétiens et esclaves noirs à Tunis au XVII^{ème} siècle*, Annales socio – écono – civil, Novembre / décembre 1967.

Idem, *Fellahs tunisiens : L'économie rurale et la vie des campagnes aux 18ème et 19ème siècles*, Paris, La Haye, Mouton, 1977.

2-Articles :

Largueche (Abdelhamid), «La minorité noire de Tunis au XIX^{ème} siècle », in *Etre marginal au Magreb,* Paris, C.N.RS, 1993, pp. 135 – 153.

Servonnet (Jean) et Laffite (Fernand), « En Tunisie, le Golfe de Gabès 1888 », in *Jerba une ile méditerranéenne dans l'histoire*, Institut national d'archéologie et d'Art, Tunis 1982, pp. 81 – 105, p. 136.

الملاحق:

وثيقة عدد1

وثيقة عدد 2

وثيقة عدد 3

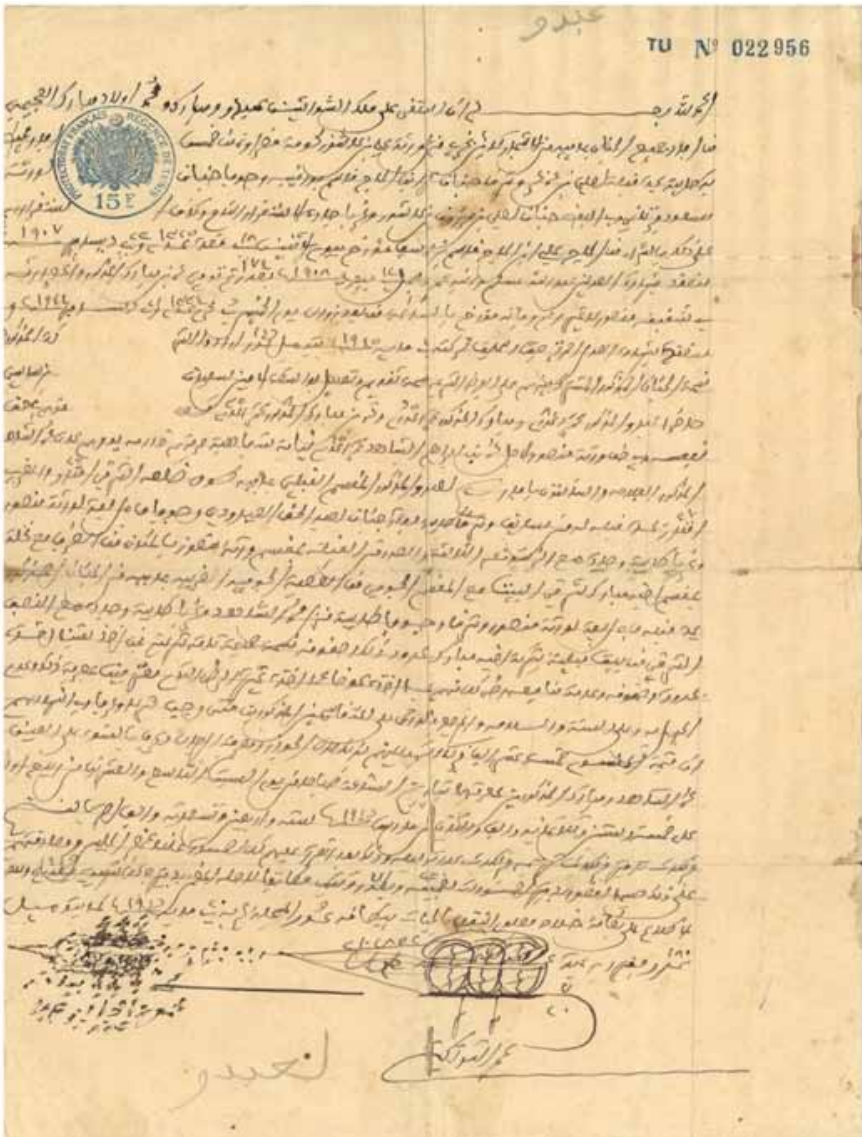

وثيقة عدد 4

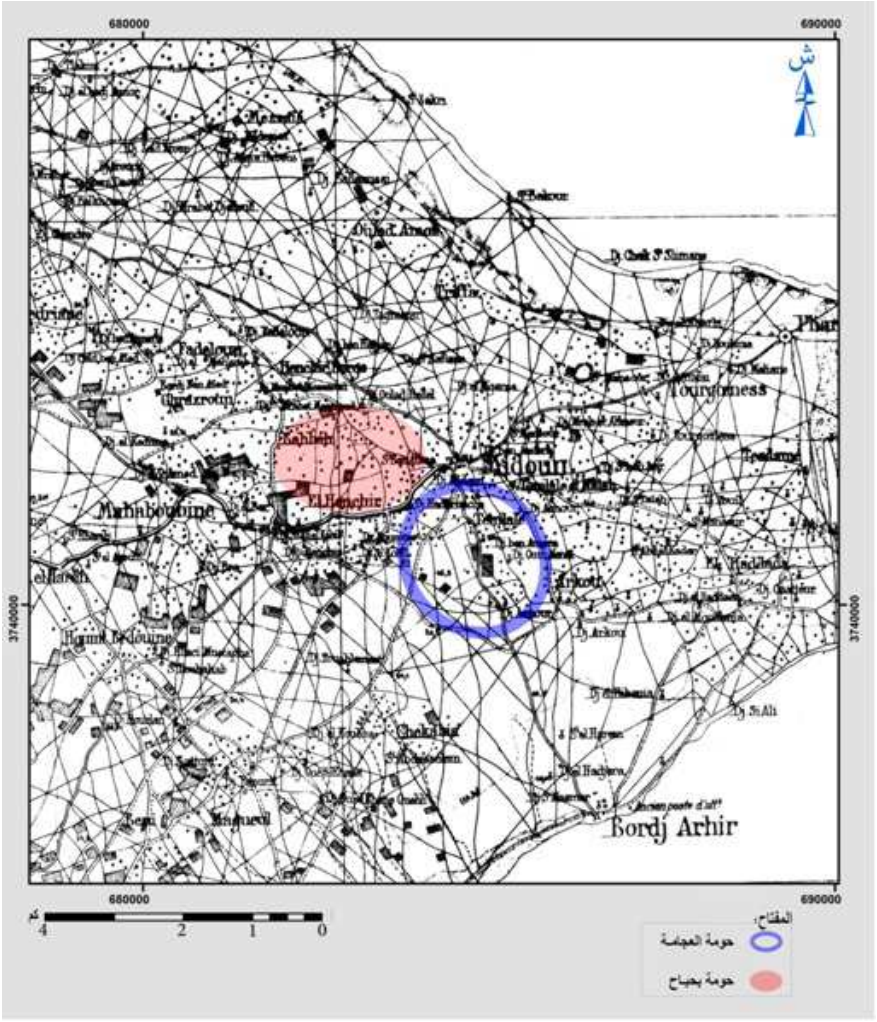
680000
690000
3740000
ش
Aïdoun
Tourgmess
Mahboubine
Arkou
Bordj Arhir
Chokhbat
4
2
1
0
المفتاح:
حومة العجاشة
حومة بحياح